رحلتي إلى البيت المقدس

تأليف

علامة الشام

جمال الدين القاسمي الدمشقي

(١٢٨٣-١٣٣٢هـ)

تحقيق وتعليق

محمد بن ناصر العجمي

ساهم في طبعه أحد المحسنين وزوجته من المدينة المنورة
غفر الله لهما وأثابهما رضاه

دار البشائر الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

من مشاعر العلماء

حول بيت المقدس المبارك

* قال أبو بكر ابن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ): «دخلنا الأرض المقدَّسة، وبلغنا المسجد الأقصى، فأقمت به أَزْيَد من ثلاثة أعوام؛ وقلت لأبي: إن كانت لك نيَّة في الحجّ فامضِ لعزمك؛ فإنِّي لست برائم عن هذه البلدة حتى أعلم علم مَن فيها، وأجعل ذلك دستوراً للعلم، وسلَّماً إلى مراقيها». «قانون التأويل» له (ص٤٣٣).

* وقال العبدري (ت بعد ٧٠٠هـ): «وصلنا إلى بَيْتِ المَقْدِسِ ـ زاده الله تعظيماً ـ وأَلْحَفَهُ مبرَّةً دائمة وتكريماً؛ مسجد الأنبياءِ وقِبلتِنا قديماً؛ أحدِ المساجد الَّتي إليها تُعمَل المَطيّ، وتُضاعَفَ الحسناتُ لكلّ برٍّ تقيّ؛ مصعد نبيِّنا عليه السَّلام، إلى مستوى يُسْمَعُ فيه صرير الأقلام، ومعراجِهِ حين عَسْعَسَ الظَّلام، إلى مناجاة الملك العَلَّام». «رحلته» (ص٤٦٨).

* وقال محمد بن عثمان المكناسي المغربي (ت١٢١٤هـ): «ولأهل بيت المقدس بشاشة وطلاقة وأخلاق حسنة، ومَيل إلى مؤانسة الغريب ومسامرته والمحادثة معه؛ فلهم اعتناء به كثير؛ حيَّاهم الله وبيَّاهم وأدام سُقياهم». «إحراز المعلَّى والرقيب» (ص٣١٨).

رحلتي إلى البيت المقدس

غلاف الكتاب الأمامي: يمثل منظر رسم اليد بألوان زيتية للمسجد الأقصى وأحد شبابيكه، وصورة لمنبر المسجد الأقصى الذي أَمَرَ بصنعه نور الدين محمود وقدَّمه لصلاح الدين ليوضع في المسجد الأقصى، وقد أحرقه اليهود، كما يظهر في الغلاف خط القاسمي من رحلته هذه.

والغلاف الخلفي: يمثل أحد أروقة المسجد الأقصى، وكذا يظهر فيه خط القاسمي لكتابه «قواعد التحديث» حين انتهائه منه في المسجد الأقصى.

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم
حمداً لمن طحى لنا الارض ودحاها، واخرج منها ماءها ومرعاها، وجعلها
مهاداً، والجبال اوتاداً، وانزل من المعصرات ماءً ثجاجاً، فاخرج به حباً
ونباتاً وجنات الفافاً، تسر برونقها اعين الناظرين، فتبارك
الله احسن الخالقين، وصلاة وسلاماً على من اسرى به من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى، وبلغ من كمال معارج الوصول المقام الاقصى،
اشرف من زكا غرساً، والطف من طاب نفساً، سيدنا محمد البشير
النذير، والسراج المنير، وعلى آله واصحابه الامجاد، الذين فتحوا الامصار
والبلاد، وساروا في الشرق والغرب وجاهدوا في الله حق الجهاد(١)

وبعد:

فإليك مِسْكَةً وعَبيرَةً(٢)، من أخبارٍ ومشاعرَ جيَّاشة، حول المسجد الأقصى المبارك، الذي تحن إليه قلوب أهل الإيمان بعد المسجد الحرام،

---

(١) هذه الخطبة بخط العلَّامة القاسمي من رحلته المسماة بـ «النحلة المسكية في الرحلة البعلبكية»؛ وقد ناسب وضعها من جهتين: الأولى: أنه في أثنائها ذكر المسجد الأقصى، والثانية: أنها رحلة بخط القاسمي أيضاً.

(٢) انظر استعمال هذه الكلمة والتي قبلها: «صحيح البخاري» (١٩٧٣)، و«صحيح مسلم» (٢٣٣٠)، وهي من كلام أنس بن مالك رضي الله عنه.

ومسجد سيد ولد عدنان عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ما تعاقب الملوان؛ وهي رحلة العلَّامة المُصلح، الأديب المؤرخ، أبي الضياء(١) محمد جمال الدِّين القاسمي الدِّمشقي؛ أحد أركان الإصلاح في القرن الماضي.

فقد كتبها بروح المحبَّة والتشوُّق إلى ذلك المكان المبارك؛ حيث عبَّر عن زيارته له حين وصوله إليه بعبير دموعه بقوله: «**فلا تَسَل عمَّا هَجَم علينا من السُّرور المُفْرِطِ، وانشراحِ الصَّدْرِ، وبهجَةِ النَّفْس، وانتعاش الفُؤادِ، وحسبناهُ قطعةً من الجنَّة قد دخلناها حامدين شاكرين لفضله، ونحن نكفكف الدمع فينهمل**».

---

(١) تعمَّدتُ أن أذكر كنية القاسمي هذه، وذلك لأن أكبر أبنائه هو الضياء، وقد ذَكر اسمه في هذه الرحلة أكثر من مرة. كما أنني أحببتُ ذكره بَرًّا بأُستاذنا الوالد العزيز العمّ أبي الضياء محمد سعيد القاسمي فإنه حفيد العلَّامة الجمال القاسمي، وقد كان والده هذا رحمه الله طالباً للعلم ومحبًّا له لكن المنيَّة اخترمته في شبابه بعد أن أعقب أستاذنا محمد سعيد القاسمي حفظه الله بخير وعافية.

ولـمَّـا استـقرَّ بـه الـمـقـام في حـجـرتـه الـتي في داخـل الأقـصـى في قـبـلِيِّـه، جـهـة مـنـبـره الأيـمـن؛ فرح بمكانه هذا فبكى سروراً، وسَجَد لله شكراً على هـذه الـنـعـمـة؛ فإن بـغـيـتـه مـن هـذه الـرحـلـة الـمـقـام والصلاة في هذا المسجد المبارك، وقد صاغ شيئاً من أنسه بالمسجد الأقصى، وحثِّه على العبادة فيه في شعره الذي قاله في المكتبة الخالدية، فمن ذلك قوله:

وابـتـهِـل لله فـي جُـنْـحِ الـدُّجـى
وأَسِـلْ دَمْـعَـكَ كـالـمُـبـتـئـسِ

وتـجـرَّد فـيـهِ عَـنْ كُـلِّ الَّـذي
يُـظلِـمِ الـقَـلْـب كَـلَـهْـوِ الـمَـجْـلِسِ

ولـمَّـا خـرج مـن الـمـسـجـد الأقـصـى ودَّعـه بـمـا بـدأ بـه حـيـث قـال: «ونـحـن نـكـفـكـف الـدمـع وينهمل:

ولـمَّـا قـضـى الـتـوديـع فـيـنـا قـضـاءَه
خرجتُ ولكن لا تَسَلْ كَيْفَ مخرجي

وابتهلنا إلى المولى في دعوات جمَّة، منها: أن يغفر لنا ما فرَّطنا من التقصير في مقام هذا المسجد الجليل».

ومن محبته وتعلُّقه بهذا المسجد المبارك أنه صحب معه مسوَّدات كتابه المعطار: «قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث» حيث أنهى تبييضه فيه؛ فهو يقول في ختامه: «إلى أن كملت نسْخاً وتبييضاً بعونه تعالى صباح الخميس لخمس بقين من صفر المذكور عام (١٣٢١) في المسجد الأقصى داخل حرمه الشريف، أيام إقامتي في حجرته القبلية».

بل إن أثر ذلك استمر في عودته وأعماله العلمية اليومية؛ فقد كتب بخطه على نسخته من «جامع الترمذي» حين قراءته له ومقابلته على النسخ الخطية ما يلي: «بحمده تعالى قد بدأنا بقراءة «سنن الترمذي» بعد الظهر في المكتبة الظاهرية نهار الأحد في ٢٠ شعبان سنة ١٣١٩ الموافق ٢٠ تشرين الثاني، وأخذنا نقابل هذه النسخة على الثلاث نسخ الموجودة في المكتبة الظاهرية، ثم وقفنا على «باب ما جاء

أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً» يوم السبت في ٢٨ محرم سنة ١٣٢١، وسافرنا إلى القدس صباح الأحد في ٢٩ محرم المذكور، ثُمَّ عدنا إلى الوطن وأخذنا بتتميم قراءة «السنن» في ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٢١».

* **وأما بخصوص الرحلة عموماً**، فإن العلَّامة القاسمي قد سجَّل كل ما مرَّ به، ونقل في بداية رحلته شيئاً من تاريخ وجغرافية عمَّان من المصادر القديمة وبعض الحديثة، وفي أثناء ذلك فإنه يذكر على سبيل الإجمال القلاع والحصون والأسوار والأعمدة، وجمال الطبيعة وحُسن مغانيها، بل وأحوال العمران ونهضته، والإشارة إلى بعض الموارد التجارية، وأحوال الناس ممن مرَّ بهم ـ كتعنُّت بعض العسكر وجُباة المكوس ـ، ويثني على حال مَن لقي من أهل العلم والفضل ويصف بعض أحوالهم كما ترى ذلك في وصفه للشراكسة في عمَّان، فذكر شيئاً من عادتهم وكريم أخلاقهم، حيث قال: «ولم تفتر ولائمهم لأجلنا في الصباح والمساء، ولهم تأنُّق في تهيئة الشاي».

وذكر ما لقيه من حفاوة حينما دخل المسجد الأقصى في المكان الذي أقام فيه، حيث قال: «وشاهدنا منهم غاية الترحاب والإيناس».

وحينما خرج من القدس وودَّعه صُلحاء المسجد الأقصى وأخيار القدس قال: «وفدوا لوداعنا فشكرنا سعيهم».

ولمَّا وصل بلدة يافا ونزل عند مفتيها الشيخ الأديب علي أفندي أبي المواهب الدجاني قال: «فأجَلَّ وفادتنا، وسررنا بمحاورته العلمية».

بل إن الشيخ الدجاني أخذ القاسمي في نزهة لطيفة ورياض بديعة زاد سرور القاسمي فيها ما ذكره بقوله: «وكان المفتي المنوَّه به اصطحب لأجلنا جملة كتب من مكتبته...».

* **وأما ما له صلة بالعلم والكتب،** فإنه في أثناء رحلته قد صحب معه ما يتزوَّد به منها، فإنه يقول: «ومعنا كتبنا التي هي زاد أرواحنا... ونقرأ عليهم مما معنا، ويمضي الوقت في مسائل ولطائف...».

ولذا تراه يرجع إلى ما يفيده في معرفة ما يمرّ به فهو يقول: «وكنت أراجع لجغرافية ما مررنا عليه من الجبال والبلاد والقرى كتاب «الجغرافية العمومية»، وكتاب «تاريخ المملكة السورية»، وكتاب «دليل الزوّار» ».

ولمَّا نزل في المسجد الأقصى كان مكانه هو الزاوية أو المدرسة الختنية فأحبّ التثبت من ذلك، فتراه يقول: «ثُمَّ راجعت «تاريخ أنس الجليل»، فرأيته ذكر أن منزلنا المذكور كان في الأصل زاوية» وذكر نصه في ذلك.

ولمَّا زار المدرسة الصلاحية، ذكر أن صلاح الدِّين قد شيَّدها وأشار إلى عبارة أبي شامة في كتاب «الروضتين».

وأما زيارته للمكتبة الخالدة الخالدية التي بجوار المسجد الأقصى المبارك فإنه يقول: «زرت المكتبة الخالدية في جوار الحرم وطالعت بعضاً من نفائس كتبها، وترددت إليها كثيراً».

ولفت نظره مخطوط غاية في النفاسة فقال: «واستعرت منها «الشفاء» للقاضي عياض، وعليه سماعات كثير من المُحدِّثين، وهو مقابَل على نسخة مقابَلة على نسخة المؤلف».

ثُمَّ أوضح استغنامه لهذه الفرصة التي لا يمكن أن يفوِّتها مثله فقال: «فشرعت في مقابلة نسخة لي عليه في الحجرة المذكورة إلى انتهاء الرحلة».

وفي أثناء تردُّده إلى هذه المكتبة العامرة بنفائس المخطوطات طلب منه أربابها أن يكتب أبياتاً فيها ـ حيث إنه كان في المكتبة سجلٌّ يَكْتُب فيه مَن قَدِم إليها من العلماء ـ؛ فاعتذر منهم؛ فألحّوا عليه، فكتب لهم أبياتاً لطيفة ضمَّنها فضلَ المسجد الأقصى والعبادة فيه، وأشار فيها إلى المكان الذي كان يسكن فيه، وختم آخر ست أبيات في هذه المكتبة والثناء على أصحابها آل الخالدي أُسرة العلم والفضل.

*** كما أنه تعرف على الأمكنة التي حول هذا المسجد المبارك،** فقد زار مطبعة في نواحي بلدة القدس تهتم بطباعة كتب النصارى وتعاليمهم.

وفي أثناء ذلك ذهب إلى بلدة الخليل ومكث فيها ليلة ثم عاد إلى القدس.

وكان من هُجيرىٰ القاسمي المحافظة على الصلوات في المسجد الأقصى؛ فإنه ولو ذهب هنا وهناك لا يفوِّت فيه فضل الصلاة إلَّا فيما ندر؛ يقول: «هذا وفي كل ذلك ننقلب إلى حجرتنا في الأقصى بسرعة، بحيث لم تفتنا بحمده تعالى في مدة إقامتنا الصلاة أول الوقت فيه، إلَّا ما كان وقت المغرب أحياناً...».

* وكما أنَّ القاسمي كان حريصاً على الأعمال الصالحة الظاهرة؛ فإنه كان أيضاً حريصاً على الأعمال القلبية؛ فهو يقول: «طلب مني مجاورو الحرم قراءة درس عام؛ فأبيت؛ خوفاً من دخُول العُجب، عياذاً بالله؛ فتحبط الرحلة».

بل إنه حتى من الناحية الفقهية العلمية تكلم في آخر الرحلة على حكم دخول الكنيسة والتفرج عليها.

ثُمَّ زيَّن رحلته هذه بنقلٍ غاية في النفاسة في الآداب الشرعية المتعلقة بزيارة المسجد الأقصى،

وحُكم ما حوله من آثار، والصخرة التي في المسجد، عن رسالةٍ لشيخِ الإسلام ابن تيمية، ساق طرفاً صالحاً منها يُناسب المقام؛ بل وزاد عليها بعض السطور التي تدل على نبذِه للخرافة ووقوفه عند النص، حيث قال: «ونحن أُسراء الأخبار لا نتقدم بين يديها».

وختم رحلته بمروره على مفتي يافا، وقد أحسن وفادتهم وأطلعهم على كتبه فنقل منها القاسمي ـ وهو صاحب روح أدبية وذوق في الشعر ـ بعض الأبيات الرائقة.

وبعد هذا عاد إلى بلده دمشق من طريق بيروت التي لم يمكث فيها إلَّا ليلة واحدة؛ لشوقه ونزوع نفسه إلى وطنه.

* **هذا**، وقد أشار العلَّامة القاسمي في آخر ما كتبه عن رحلته هذه إلى أن كتابتها لم تكن على سبيل الإسهاب والتأنق، حيث قال:

«ولمَّا كان مقصدي تقييد زمن هذه الرحلة في هذا الدفتر؛ لتكون تذكاراً لي ولمن يتشوَّف إلى وقتها من أهلي، اقتصرتُ على هذه الكلمات».

رحم الله العلَّامة القاسمي؛ فقد أفاد في رحلته هذه إلى بيت المقدس في تلك الفترة سنة (١٣٢١هـ) = (١٩٠٣م)، وأعطى صورة مشرقة لهذا البلد المبارك.

وقد أحببت إحياء هذه الرحلة بخدمتها، والتعليق عليها بما يناسبها ـ من توثيق، وتعريف ببعض المواضع ـ، وختمتها بملحق صغير حول بعض الصور[1] المتعلقة بهذه الرحلة خصوصاً المسجد الأقصى وما حوله من آثار علمية أو ما مرَّ به القاسمي.

هذا وإنَّ الأسى كامن في الجوانح المؤمنة لما أصاب هذا البلد المبارك والأرض المقدسة من جيوش الفساد التي جاشت في سبيل تهويدها وإيذاء أهلها صباح مساء؛ فاللَّهُمَّ يا ولي الإسلام وأهله ارفع هذه المصيبة والبلاء عن هذه البلد، وسائر بلاد المسلمين.

ومن باب محبَّة هذا البلد المبارك أردت الإسهام ولو بعود في نشر هذه الرحلة.

---

(١) وإني لأشكر الأخ الفاضل محمد إبراهيم خليل الذي ساعدني في تحصيل بعض الصور؛ جزاه الله الحسنى.

اللَّهُمَّ إني أسألك حُبك وحُب كل عمل يُقربني إلى حُبك، وأسألك لي ولمن قرأ هذه السطورَ الفردوسَ الأعلى من الجنة.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين.



الكويت ـ مدينة سعد العبد الله

من الجهراء المحروسة

١٦/ ٦/ ١٤٣١هـ

٣٠/ ٥/ ٢٠١٠م

العلامة القاسمي
وليد القرون المشرقة
وابن العائلة العلمية العريقة

عُرِفَتْ دمشق الشام ـ حماها الله وسائر بلاد الإسلام ـ ببيوتٍ علميَّةٍ عريقة شهيرة رفيعة، قد أنجبت جمعاً من العلماء الأجلاء، والأُدباء الفضلاء.

وقد تسلسل في كثير من هذه البيوت أهل العلم والفضل، فمن تلك الأسر التي لا زال حفدتها في عصرنا: آل الخطيب الذين توارث بعض علمائهم الخطابة في الجامع الأموي، وبنو الكُزبري الذين اشتهروا بعلم الحديث النبوي وعلوِّ السَّنَدِ فيه، وتدريسهم له تحت قُبَّة النَّسْرِ بالجامع الأموي، وآل الأُسطواني الذين تولَّى غير واحد منهم القضاء بدمشق، وأسرةُ بني عابدين المعروفون بالفقه الحنفي، وآل الشطي الحنابلة المتميزون بمعرفة الفقه الحنبلي وعلم الفرائض، وبنو العطار المشهورون بالعلم، وبنو البيطار الذين خرج منهم

أجلَّة من العلماء والشُّعراء، وآل الحلواني الذين كانوا مشايخ القُرّاء، وغيرهم من تلك الأُسر العلمية العريقة بدمشق التي بقي بعض سلائلها الدَّالة على أسلافها.

وإن من تلك البيوت الأصيلة الجليلة في العلم: **السَّادة آل القاسمي؛ فهم بيت علمٍ وأدب، ومقامٍ علميٍّ** رفيع، مع ما حباهم الله به من شرف النَّسَبِ، فهم كما قال العلَّامة الشيخ عبد الحفيظ الفاسي المغربي: **«بيت شرف وعلم، ومجد وفضل؛ تعدد فيهم العُلماء والصُّلحاء والأُدباء»**.

ولم يكتفوا بهذا النسب الشريف؛ وإنما جمعوا إليه العلم والنبل.

وواسطة العقد في هذا البيت، وقلادة النَّحْرِ وبيتُ القصيد فيه، هو:

الإمام العلَّامة محمد جمال الدِّين القاسمي

الذي بَزَّ أقرانه، وفاق أبناء عصره وزمانه، أحد كبار حملة العلم والإصلاح في القرن الماضي.

مولد العلَّامة القاسمي:

ولد العلَّامة القاسمي في موطنه ومنبت آبائه ومستقرّ أجداده: دمشق، في الثامن من جمادى الأولى سنة (١٢٨٣هـ).

وقد نشأ في بيت العلم والتقوى ـ كما أسلفنا ـ، فقد كان جده الشيخ قاسم من فقهاء الشام وصلحائها الكرام. وكان أبوه الشيخ محمد سعيد عالماً أديباً.

ففي هذا الجو ـ الذي كان محفوفاً بحرمة الدِّين وجلاله، وهُداه وسلطانه، ورقة الأدب وتهذيبه وصفائه ـ فتح العلامة جمال الدِّين عينيه على هذا النور والفضل، وأخذ من علماء بلده كالشيخ أحمد الحلواني، والشيخ سليم العطار، والشيخ بكري العطار، وغيرهم من أعلام ذاك العصر.

كما كان لتوجيهات والده الأثر البالغ، وفي ذلك يقول: «وكان سيدي الإمام الوالد رضي الله عنه حينما يراني مواظباً على دروسي ومطالعتي يزداد في دعواته الصالحة. وينظم في رضائه عني أبياتاً يشوقني في دوام

الاجتهاد، وأعظم شيء عندي من جليل دعواته قوله لي في أغلب الأوقات: الله يرضى عليك كما رضي على الصدِّيق، وفي جُملٍ غيرها متنوعة، كافأه المولى عني بخير الجزاء آمين».

بره بوالده:

وقد كان الشيخ جمال الدين القاسمي باراً بوالده، يبادله العطف والحنان والمحبة، وكان لا يخاطبه إلَّا بقوله: «سيدي».

وقد نقل طلابه عنه أنه كان يقول: «إنني في حياتي لم أخبر والدي بموت صديق له أو شخص يقاربه في السن خشية انزعاجه».

ومن تمام بره بوالده أنه بعد وفاته ألَّف في ترجمته كتاباً عنه بعنوان: «بيت القصيد في ترجمة الإمام الوالد السعيد».

تولَّى الإمامة في جامع العنَّابة في محلة باب السريجة من أحياء دمشق المحروسة، ولما توفي والده سنة (١٣١٧هـ) خلفه في جامع السِّنانية بباب الجابية.

وحصلت له حادثة في سنة (١٣١٣هـ) تسمى بحادثة المجتهدين، اتُّهم فيها بأنه ينوي تأسيس مذهب جديد في الدِّين؛ فقبَضَت عليه الحكومة وحقَّقت معه، وردَّ التهمة؛ فأُخلي سبيله.

قام بالتدريس في جامعه لكتب السنَّة والوعظ العام، وكان وقته مشغولًا كله، يغلب عليه الجد، ويبتعد عن الهزل، لا تأخذه في الله لومة لائم.

يقول عنه الشيخ محمد رشيد رضا: «كان من أكمل من رأيت في أخلاقه وآدابه وشمائله، كان أبيض اللون، نحيف الجسم، ربعة القد، أقرب إلى القصر منه إلى الطول، غضيض الطرف، كثير الإطراق، خافض الصوت، خفيف الروح، دائم التبسم. وكان تقيًّا، ناسكاً، واسع الحلم، سليم القلب، نزيه النفس واللسان والقلم، برًّا بالأهل، وفيًّا للإخوان، يأخذ مما صفا ويدع ما كدر، عائلًا عفيفاً قانعاً».

جمال الدِّين والدُّنيا:

ويقول عنه عصرِيُّه وبلدِيُّه محمد كرد علي: «رزق الصَّدِيقُ العلَّامة صفاتٍ إذا جُمع بعضها لغيره عُدَّ قريعَ دهره، ووحيد عصره؛ فقد كان طلق اللسان، طلق المُحَيَّا، وافر المادَّة، وافر العقل، سريع الخاطر، سريع الكتابة، جميل العهد، جميل الود.

وكان ـ بلا جدال ـ جمال الدِّين والدُّنيا، ما اجتمع به أحد إلَّا وتمنى لو طال بحديثه استمتاعه ليزيد في الأخذ عنه والتشبُّع بفضائله والاغتراف من بحر علمه».

وقال أيضاً: «تذرَّع الفقيد بعامة ذرائع النفع لهذه الأمة؛ فكان إماماً في تآليفه الوفيرة، إماماً في دروسه الكثيرة، إماماً في محرابه ومنبره ومصلَّاه، رأساً في مضاء العزيمة، رأساً في العفَّة ـ وهذه الصفة هي السر الأعظم الذي دار عليه محور نبوغه ـ؛ لأنه لو صانع طمعاً في حطام الدُّنيا لما خرج عن صفوف أهل محيطه، ولكان عالماً وسطاً، يشتغل بالتافهات، ويعيش في تقية، ويموت كذلك».

مضرب المثل في استغلال الوقت:

وأمَّا همَّته العالية واستغلاله لأوقاته، فقد كان مضرب المثل في ذلك.

يقول عن نفسه: «وقد اتفق لي بحمده تعالى قراءة «صحيح مسلم» بتمامه روايةً ودرايةً في أربعين يوماً، وقراءة «سنن ابن ماجه» كذلك في واحد وعشرين يوماً، وقراءة «الموطإ» كذلك في تسعة عشر يوماً، وقراءة «تقريب التهذيب» في تصحيح سهو القلم فيه وتحشيته في نحو عشرة أيام.. فدع عنك الكسل، واحرص على عزيز وقتك بدرس العلم وإحسان العمل».

وكتب مرة في مذكراته: «الكسل من النقائص التي تولد الخسائس والشرور، ويدل على ضعف في إدراك صاحبها وحطة في نفسه».

وقال كذلك: «الكسل والخمول وحشو الذهن بالخرافات هي طريق الشر».

وهذا الجد والدأب عنده كان يتحلى به منذ شبابه الأول، حينما كان طالباً يسعى إلى الشيوخ، لا ينقطع

عن حلقاتهم المنتظمة بحال من الأحوال؛ حضر درس شيخه سليم العطار في يوم شديد البرد كثير الثلج، لم يمنعه ضعف بنيته ولا تجشم المتاعب، فلما وافى الحلقة لم يجد عنده من الطلاب أحداً، فقال أستاذه: «إنني أنتظرك وحدك؛ لأنني عرفت أنه لن يأتي في هذا اليوم غيرك».

وكم كان يعجب من الناس الذين يمر بهم جالسين في المقاهي عند باب الجابية، ويقول: «ما أرخص وقت هؤلاء عليهم، فيا ليتهم يعطونني شيئاً من أوقاتهم».

وبالمقابل، فقد قسَّم أوقاته خلال اليوم تقسيماً حرص فيه ألا يضيع منه شيء في غير فائدة؛ فجعل وقت الفجر للدروس، وضحوة النهار للتأليف والكتابة، وبعد الظهر للقيلولة اليسيرة جداً كحسوة الطائر ـ كما أخبرني بذلك عنه أحفاده ـ، ووقت العصر للتدريس، وما بين العشاءين لوعظ العامة، وخصص ما بعد العشاء للتفسير.

وكان يقول عن نفسه: «لا أرى والله الصحة والنشاط إلَّا فيما أنا عليه، وإذا تركت القلم أو الكتاب فأراني كالسمك إذا فارق الماء...».

هذا، وأراني مضطراً إلى كبح جماح القلم بعد أن أوشك على الاسترسال في سرد الوشي من سيرة هذا الإمام العطرة، وأختم بما يلي:

مؤلفاته:

يقول أمير البيان شكيب أرسلان: «وإني لأوصي جميع الناشئة الإسلامية التي تريد أن تفهم الشرع فهماً ترتاح إليه ضمائرها، وتنعقد عليه خناصرها؛ ألَّا تقدِّم شيئاً على قراءة تصانيف المرحوم جمال الدِّين القاسمي، الذي قسم الله له من اكتناه أسرار الشرع ما لم يقسمه إلَّا لكبار الأئمة وأحبار الأمة، والله تعالى ينفع المسلمين بآثاره، ويهديهم في ظلمات هذه الحياة بزاخر أنواره».

ومن مؤلفاته:

تفسيره الكبير «**محاسن التأويل**»، وقد قضى في تأليفه ستة عشر عاماً.

يقول العلَّامة الشيخ مصطفى الزرقا لابن الشيخ القاسمي الأستاذ ظافر: «إنَّ قراءته تحتاج إلى عمرٍ كامل، فكيف أَلَّفه ولم يبلغ الخمسين من العمر؟».

هذا ومن يعلم سيرة الشيخ القاسمي يعرف أنه كان يستثمر كل دقيقة تمرّ به، حتى إنه ليكتب في كل مكان يمكن أن يكتب فيه؛ فإنه كان يكتب في القطار وفي البيت، وفي العربة، وفي النزهات.

وعليه، فلا يستغرب أن تربو مؤلفاته على المائة على قصر عمره، فإنه توفي سنة (١٣٣٢هـ) ولم يبلغ الخمسين رحمه الله تعالى.

من درر كلامه:

من درر كلامه وجميل توجيهاته قوله:

ـ «الوقت من أسمى مواهب الخالق التي لا يمكن استعادتها متى فاتت، فلا تتصرف فيه بما يؤسفك على فواته. والوقت أمانة عندك، تُسأل عن التصرف فيه».

- «من يضيِّع وقته إنما يفقد أكثر مما يضيِّع من دراهمه».

- «مَنْ هُمْ أقلّ منك معرفة وأدنى درجة ينبغي أن لا تكثر معهم اللجاجة، ولا تخالطهم إلَّا بقدر الحاجة، فإن المخالطة تؤثر، والطبع سراق، والنظر إلى الصور يطبع في الناظر ما ينعكس عليه منها، فالناظر إلى المحزون يحزن، وإلى المسرور يسر. وهكذا».

- «الذكاء كالشرارة الكامنة في الزِّناد، لا تظهر إلَّا بالقدح، فإذا لم تحتك الأفكار بالعلوم مات ذلك النشاط والذكاء في مكامنه وانزوى في زوايا الصدور».

- «العاقل لا ينتصر لرأيه الذاتي ولا يصرّ عليه، بل يعتبره خاطراً سنح له، فربما كان صواباً أو خطأً».

- «الفتور في المجاهدة يؤدي إلى تقوية القوى الحيوانية وتضعيف القوى الروحانية».

ـ «الأولاد منحة من الله تعالى، وزينة في الحياة، ولا يشعر بلذة العيش معهم إلَّا من يحبهم من الآباء. وما يبديه الأطفال من الألعاب، والغضب، وبعض الطلبات، وفطري الكلام؛ أسباب سرور وتسلية لمن يسرُّ بهم، ويحب الاستئناس بهم. ومن لا يحب زوجته وأولاده يكن كمن يطعم حيواناً مفترساً، يجلب على نفسه المصائب، ولا يرتاح باله، ولا يبلغ السعادة أبداً».

ـ «إن كتاباً يطبع خير من ألف داعية وخطيب؛ لأن الكتاب يقرؤه الموافق والمخالف».

* * *

* وأخيراً، فإن راقم هذه الكلمات قد تشرَّف بخدمة هذا النابغة من نوابغ هذه الأمة وعلمائها البررة بما يلي:

١ ـ «آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل».

٢ ـ «تعليق لطيف على آخر حديث في رياض الصالحين»، لجدِّه العلَّامة قاسم بن محمد القاسمي.

٣ ـ «نبذة لطيفة ونصيحة شريفة»، لخال والده الشيخ حسن بن أحمد جبينة الدسوقي الشامي.

٤ ـ «الوعظ المطلوب من قوت القلوب»، لجمال الدِّين القاسمي.

٥ ـ «الرسائل المتبادلة بين القاسمي والآلوسي».

٦ ـ «سر الاستغفار عقب الصلوات»، لجمال الدِّين القاسمي.

٧ ـ «ثمرة التسارع إلى الحب في الله وترك التقاطع» له أيضاً.

٨ ـ «رحلتي إلى المدينة المنورة»، له أيضاً.

٩ ـ «إجازته لمحمد بن جعفر الكتاني وعبد الحي الكتاني وأحمد شاكر»، ملحقة بالكتاب السابق.

١٠ ـ «وليد القرون المشرقة إمام الشام في عصره جمال الدِّين القاسمي؛ سيرته الذاتية بقلمه، وشيوخه وإجازتهم له وتلاميذه وإجازته».

١١ ـ «آداب الدارس والمدرِّس» لجمال الدِّين القاسمي.

١٢ ـ «رحلتي إلى البيت المقدس» له (وهي التي بين يديك).

أسأل الله عوناً منه وسداداً في القول والعمل في المضي في إكمال المشوار مع العلّامة جمال الدِّين القاسمي الدمشقي رحمه الله تعالى، وأن يجمعنا به ومن قرأ هذه السطور في مقعد صدق عند مليك مقتدر، آمين.

* * *

وفي يوم الاثنين سار بنا احد ادباء يافا الى منتزه للالمان ضم صنوفا من الطيور الغريبة والحيوانات العجيبة وترددنا الى جامعها
الكبير مرارا والى مسجد في جوار دار المفتي مرتفع مطل على البحر احيانا ثم عزمنا على المسير من يافا نهار الثلاثاء ٦ ربيع
مجمعنا الظهر والعصر تقديما في دار المفتي [illegible] وسار معنا [illegible] الى المينا وركبنا الزورق ولطف المولى ولله الحمد حيث
لم يكن في البحر تموج زائد والمسافة الى الوابور كانت نحوا من ثمان دقائق ثم ارتقينا الى الوابور وبدأ الدوار
ياخذ بنا فاشير علينا بالاضطجاع ثم سار من مينا يافا الساعة التاسعة من النهار ولم يزل يشق عباب
البحر الى ان وافينا بعناية الله وفضله ولطفه ثغر بيروت بعد طلوع الشمس باقل من ساعة واجتمعنا
يومئذ باخلائنا الفضلاء هنالك ودعينا للاقامة بها وعزم علينا فأبينا خشية من ان يطول بنا المقام
والنفس نزعت الى الاوطان واخبر بعض رفقائنا محرر الثمرات بالقصيدة التي طلبت مني في القدس لما ذكرها
وكان وفد لزيارتنا واركبنا عربة لقصد بعض اعزائنا فاستملاها ونشرها في الثمرات في عدد ٣٣٣ ١٤ ونطرف
لم درنا بالثغر ثم عزمنا على المسير من بيروت نهار الخميس فامتطينا الوابور ثم وافينا دمشق مساء الخميس
على حين غفلة وتمت الرحلة اربعين ليلة والحمد لله اولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

نموذج آخِرِ ورقة من الرحلة بخط صاحبها القاسمي.

رحلتي إلى البيت المقدس

تأليف

علامة الشام

جمال الدين القاسمي الدمشقي

(١٢٨٣-١٣٣٢هـ)

تحقيق وتعليق

محمد بن ناصر العجمي

ساهم في طبعه أحد المحسنين وزوجته من المدينة المنورة
غفر الله لهما وأثابهما رضاه

بداية الرحلة

لم أزل كثير التشوق لزيارة تلك الأماكن المباركة منتظراً الفرصة حتى حانت، فشددنا ساعد الهمَّة، وأبرزناها من القول إلى الفعل، وذلك في أواخر شهر محرم فاتح سنة (١٣٢١)، ونوينا الذهاب مِنْ طريق البر.

ثُمَّ في صباح الأحد ٢٩ محرم المذكور خرجنا من دارنا طلوع الشمس، بعد أن قرأنا وِرْد المُسافر[1]، وجيء لنا بعربة فوقفت أمام حارتنا وهي زقاق العلامة المكتبي[2] ظاهر باب الجابية[3]،

---

(١) انظر طرفاً من الأذكار الواردة في السفر: «الأذكار» للنووي (ص٣٥٩)، كما أن للسخاوي رسالة باسم «الابتهاج بأذكار المسافر والحاج» وهي مطبوعة.

(٢) هو عبد اللطيف بن أحمد، المعروف بالمكتبي الدمشقي، توفي سنة (١١٦٢هـ). ترجمته في: «سلك الدرر» للمرادي (٣/ ١١٨)، و«منتخبات التواريخ» للحصني (٢/ ٦٢٩).

(٣) قال القاسمي في كتابه الآخر: «تعطير المشام» (٢/ ٤٤/أ ـ نسخة المكتبة القاسمية): «باب الجابية منسوب إلى قرية الجابية في الجولان؛ لأن الخارج إليها يخرج منه لكونه مما يليها...». وانظر التفصيل في هذا الباب وما جرى له من أحداث تاريخية: «أبواب دمشق وأحداثها التاريخية» لقتيبة الشهابي (ص١١٣ ـ ١٢٩).

المجاور لجامع الزيتونة[1]، فاستطرناها إلى محطة الميدان[2]، وسار لوداعنا لفيف من الأهل والأصحاب.

ثُمَّ تحرك بنا وابور مُزَيْريب[3]، ولم يزل يجوب تلك البلاد الحورانية[4] المخصبة المؤنَّقة، إلى أن وصلنا إلى قرية مُزَيريب قرب الظهر، فنزلنا ثمة، وبعد أداء فريضة الظهر مقصورة مجموعة مع العصر قرب عين البُجَّة.

تجولنا في أرجاء أخبية التجار ريثما يسافر الوابور[5] الحجازي

---

(١) قال القاسمي في «تعطير المشام» (٢/٥٩/ب): «جامع الزيتونة في خطة قصر حجاج، جدّده أحد أعيان دمشق محمد بن محمود الشهير بابن الناشف». وقصر حجاج محلة خارج باب الجابية، سميت بذلك نسبة إلى قصر كان فيها بناه الحجاج بن يوسف الثقفي في العهد الأموي، وينسب أيضاً إلى الحجاج بن عبد الملك بن مروان. انظر: «غوطة دمشق» لمحمد كردعلي (ص٢٥٣، ٢٥٤).

(٢) تقع هذه المحطة في آخر الميدان، وفي أوله للقادم من نحو الجنوب لدمشق. وانظر: «حي الميدان في العصر العباسي» لبريجيت مارينو (ص٨٩، ٩٠).

(٣) المُزيريب: أحد منازل الحج الشامي، جنوب دمشق المحروسة، شمال غرب درعا، اشتهر بقلعة أثرية وبُحيرة. أفاده محقق كتاب «نزهة الفكر» للحضراوي (١/١٢٥).

(٤) نسبة إلى حوران، قال المؤرخ الأديب أحمد قدامة في «معالم وأعلام» (ص٣٥١ ـ طبعة مطابع ألف باء بدمشق): «منطقة واسعة في جنوبي دمشق، هي ما يعرف الآن بمحافظتي درعا والسويداء» إلى أن قال: «وكان مقر نائبها بلدة أذرعات (درعا الآن)، ودخلت في حكم الأتراك فكانت لواء من ولاية سورية...».

(٥) أي: القطار.

إلى عمَّان، وبعد العصر تحرك الوابور المذكور وسار إلى درعا فوصلنا قرب المغرب.

واتفق أن رافقنا من (مُزيريب) إلى (درعا) أحد ضباط العسكرية فنوه بنا لدى قومندان العسكر المقيمة هناك، فأوفد إلينا القومندان[1] من العسكر من نقل أمتعتنا إلى فركون[2] مشير الخط الحجازي. وغِبَّ وضع أمتعتنا فيه تجولنا في تلك الفيحاء النضرة.

الوصول إلى درعا

وكان طيرَ خَبَرِ قدومنا إلى قاضي درعا[3] أحدُ وجهاء دمشق، وكان مرافقاً لنا في الوابور وحلَّ ضيفاً عنده؛ ففي الحال أرسل القاضي لنا ثلاث دواب لطول المسافة ما بين المحطة والبلد، وكُنَّا أَدَّيْنا فرض المغرب ونافلته والورد عقبه، فامتطينا تلك الجياد، وتلقانا القاضي على بُعْدٍ بالترحاب، وأنزلنا في داره، وبذل جهده في الإيناس

---

(١) أي أعطى الأمر العسكري ليحمل لهم أمتعتهم، وهو مأخوذ من الإيعاز العسكري أي الأمر العسكري، والكلمة تركية. انظر: «موسوعة حلب المقارنة» للأسدي (٦/ ٢٧٧).

(٢) الفركَون: كلمة تركية، وهي عربة الركاب أو عربة الشحن. «موسوعة حلب» (٦/ ٤٩).

(٣) درعا من المدن التاريخية، والمدينة مركز محافظة درعا، تقع جنوبيَّ سوريا؛ وهي تبعد عن دمشق جنوباً (١١٠) كم، وتبعد عن الحدود الأردنية من ناحية الشرق (٣) كم، ومن ناحية الجنوب (٥) كم. «الموسوعة الموجزة» لحسان الكاتب (٢/ ٣١٥).

والإكرام، وغب أداء فريضة العشاء أعد لنا من التخوت والفرش أبدعها، فحمدنا المولى على ذلك، وتفاءلنا بالمسرة والرفاهية في هذه الرحلة من هذا العنوان.

ثُمَّ عزم في الصباح علينا القاضي في المقام عنده بضعة أيام، فأبينا. ثُمَّ ودَّعنا ضحوة النهار، وسرنا إلى محطة الوابور، ودعانا بعض ضباط العسكر ثمة، فأقمنا عندهم ريثما يتحرك الوابور، وبعد تناول الغداء عندهم حضر وقت الظهر، فجمعناه مع العصر، ثُمَّ ركبنا الوابور الحجازي، وطار بنا يجوب قرى حوران، إلى أن بلغ منتهاها، ثم السهل بعدها إلى الزَّرقاء، ثُمَّ إلى محطة عمَّان، فوقف هناك قُبيل الغروب.

في عَمَّان

وكان خرج لاستقبالنا من عمَّان بعض الخلَّان، وأحضر لنا الدوابّ فركبناها، وسرنا إلى عمَّان فوصلناها بعد الغروب بنحو ساعة، ووفد لزيارتنا في الصباح فقهاءُ الجراكسة هناك، ووجهاؤها، وأقمنا فيها عشرة أيام ننتظر فراغ أحد رفقائنا من علاقة له تجارية بها، وتجوَّلنا في خلال هذه المدة في معظم أرجائها، وشاهدنا آثارها وخرائبها المُدهشةَ بقاياها، وبعض مقابرها الحجرية التي أخذت في الظهور في ناحيتها القبلية، من بيت شُيِّد هناك، وصعدنا إلى جبلها ورأينا رسوم تلك القلعة والحصون والأسوار والأعمدة المنقضَّة فيه، وسرنا يوماً إلى مدخل سرداب تلك القلعة من جهة جنوب البلدة تحت طرف جبلها، وأبصرنا غرائب جمة، وآثار عمران سلفت مدهشة.

ذكر نبذة من تاريخ عمَّان

قال الفاضل ياقوت الحموي في «معجم البلدان»: «عَمَّان بالفتح والتشديد وآخره نون، بلد في طرف الشام، وكانت قصبة أرض البلقاء، والأكثر في حديث الحوض، كذا ضبطه الخطَّابي، ثُمَّ حكى فيه تخفيف الميم. وفي الترمذي[1]: «من عَدَنٍ إلى عَمَّانَ البَلْقَاءِ»، والبلقاء بالشام، وهو المراد في الحديث لذكره مع أذرُح والجَرْبَاء وأيلة، وكلٌّ من نواحي الشام».

وذكر قبلُ في عُمَان ـ بضم الميم وتخفيف ثانيه ـ، أن في كتاب ابن أبي شيبة ما يدل على أنها المرادة في حديث الحوض؛ لقوله: «ما بين بصرى وصنعاء اليمن»[2]، ومثله في البخاري[3]، وفي مسلم[4]: «وعرضه من مقامي هذا إلى عمان» انتهى[5].

أقول: حيث وقع في رواية التِّرمذي إضافة عَمَّان إلى البلقاء زال اللبس، وليس في الرِّوايات الأخر ما يخالفه.

قال ياقوت: «وقيل إنَّ عمَّان هي مدينة دقيانوس، وبالقرب منها الكهف والرقيم، معروف عند أهل تلك البلاد، والله أعلم».

---

(١) «جامع الترمذي» (٢٦١٢)، من حديث ثوبان، وهو صحيح لغيره.

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٤٥١)، من حديث عتبة، وإسناده ضعيف.

(٣) البخاري (٦٥٩٠)، من حديث عقبة.

(٤) مسلم (٤/ ١٨٠١)، من حديث أنس.

(٥) «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤/ ١٥٠، ١٥١).

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري: «عمَّان على سيف البادية، ذات قرى ومزارع، ورستاقها البَلقاء، وهي معدن الحبوب والأنعام، بها عدة أنهار وأرحية يديرها الماء، ولها جامع ظريف في طرف السوق مُفَسْفَسُ الصحن شبه مكة، وقصر جالوت على جبل يطل عليها، وبها قبر أورياء عليه السلام، وعليه مسجد». انتهى كلام البشاري[1].

وذكرها الأخوص بن محمد الأنصاري في شعره، فقال مطلع قصيدة:

أقول بعمَّان وهل طَربي به إلى أهل سَلْع إنْ تَشَوَّقْتُ نافعُ

وقال الخطيم العُكلي أيضاً مطلع قصيدة:

أعوذُ بربي أن أرى الشَّامَ بَعدها وعمَّانَ ما غَنَّى الحَمَامُ وغَرَّدا

ونُسِب إلى عمَّان جماعةٌ من الرواة سماهم ياقوت رحمه الله تعالى.

وجاء في مجلة «المقتطف»[2] في «بحث خرائب الشام» تحت عنوان «خرائب عمَّان» ما صورته:

«مدينة عمَّان قصبة بني عمون، شرقي الأردن، على نحو مرحلتين من القدس، كان اسمها ربَّة بني عمون، وكان لها شأن كبير

---

(١) نقله وما بعده ياقوت (٤/ ١٥١)، وانظر أيضاً: «أحسن التقاسيم» للبشاري (ص١٧٥).

(٢) (الجزء ٧/ مجلد ٢٧/ ٨٤٧، ٨٤٨).

في الزمن القديم، لما مات ناحاش ملكها وملك حانون ابنه أرسل النبي داود عليه السلام ملكُ بني إسرائيل وفداً لتعزيته، فلم يكرم الوفدَ، بل أوجس منهم خيفة، وحلق لحاهم، وقصَّ أذيالهم؛ فاغتاظ داود عليه السلام منه وحاربه سنتين، إلى أن فتح ربَّة عاصمته وقتل أهلها، وأخذ تاجه عن رأسه ووزنه وزنةً من الذهب، مع حجر كريم.

وعاد بنو عمُّون فشادوا قصور ربَّة وأعلوا أسوارها، فتنبأ عاموس النبي قائلاً: «أضرَم ناراً على سور ربَّة فتأكل قصورها»، ودخلها الفرس، وهم نازلون إلى مصر.

ثُمَّ وقعت في يد البطالسة فسماها بطليموس فيلادلفس فيلادلفيا، واشتهرت بهذا الاسم زماناً طويلًا، وكانت من المدن العشر شرقي الأردن.

وحاصرها أنطيوخس الكبير سنة ٢١٨ قبل الميلاد، وكانت جنود بطليموس فيلوباتر فيها، فعجز عن فتحها إلى أن دلَّهُ واحد من الأسرى على مجرى الماء إليها فقطعهُ واضطرها إلى التسليم.

وعَظُمَ شأنُ هذه المدينة في عهد الرومانيين وبَنَوْا فيها المباني الكثيرة التي لا تزال أطلالها إلى الآن شاهدة بما كانت عليه من الفخامة والرونق وبما كان لأهلها من الثروة والجاه.

وكل الأطلال يونانية أو رومانية الأصل إلَّا القلعة فإنه يظن أنها قديمة من قبل أيام الرومانيين، ولعلها من عهد بني عمُّون.

وتنصَّر أهل عمَّان مع غيرهم من أهالي مدن الشام، وصارت مدينتهم كرسي أسقف، ولا تزال جدران كنيستها قائمة على جانب النهر الزرقا، وفي حجارتها روابط من الحديد والنحاس لتوثيقها أو لإلصاق النقوش بها، وأعمدتها من الرخام الأبيض من الطراز الأيوبي، وهي مصروعة الآن على الثرى مكسرة ومبعثرة.

وإلى جانبها كنيسة أخرى كان لها برج أو هو مأذنة أُضيفت إليها لما حُوِّلت جامعاً، ولا تزال جدرانها قائمة.

وعلى مقربة من ذلك حصن له برجان كبيران مستديران بينهما سور من حجارة كبيرة منحوتة مقرنصة من قبل عهد الرومانيين وصِلة على أربع أقواس الواحدة منها فوق الأخرى تصل بين الخندق وباب الحصن.

أما داخل الحصن فخراب، إلَّا الجدار الشرقي فإنه لا يزال قائماً، وفيه محاريب للتماثيل ونقوش كورنثيَّة، وداخل الحصن أعمدة كبيرة كان سقفه مستنداً عليها.

ويتلو الحصن هيكل كورنثي بديع الصنعة، له في جانبه الغربي ثلاثة أبواب، حول الأوسط فيها نقوش من الطراز المصري.

وعلى الجانب الآخر من النهر معمّد فيه أحد عشر عموداً، لا تزال ثمانية منها قائمة وتيجانها كورنثيَّة.

وهناك مشهدان الصغير منهما لا تزال جدرانه قائمة لكن داخله خراب مملوءٌ بالأنقاض والأعمدة المكسَّرة، والكبير من أكبر مشاهد سورية وأفخمها وأجملها، قطر مساحته ٤٥ خطواً حولها المقاعد ٤٣ صفًّا، الواحد فوق الآخر كآهلَّة متراكزة.

أما القلعة فعلى شاهق يعسر الصعود عليه، وهي قسمان أحدهما أرفع من الآخر، والقسم المرتفع مساحة سطحه عدةِ أفدنة مُغطاة بالأنقاض، وفيها صهريج كبير، وإلى جنوبيِّهِ بناءٌ مربع يُظن أنه من عهد الفرس بَني ساسان، أو من عهد العرب.

وإلى غربي القلعة كثير من الأعمدة الكبيرة باقية من آثار ما كان فيه من الأبنية.

وحول المدينة أبراج كثيرة كانت مدافن لعظمائها مبنية بالحجر النحيت، وفيها نواويس الموتى.

وقد وصف البلاد الواقعة شرقي الأردن ـ وخرائب عمَّان من جملتها ـ أحد الرحالة من عهد قريب بقوله: نزل الشراكسة في هذه البلاد منذ بضع عشرة سنة وبنوا قُراهم على ضفتي نهر الزرقاء ونواصره بعد أن هجر السكان هذه الأنحاء منذ أكثر من ألف سنة، ودبت الحياة في مدينتي اليونان عمَّان وجرش، وقامت أكواخ الطين بين أعمدة الشوارع القديمة، وتحولت أروقة المشاهد إلى مساكن ومخازن، وشقَّت المحاريب ساحات الأندية، وصارت الحمامات حظائر وبيادر، ولا شأن لتلك الآثار عند الشراكسة فلا يحسبونها سوى محاجر يقتلعون الحجارة منها، فتجد في جدران مبانيهم تيجان العمد الكورنثية وسوقها المضلعة، وتجد أمام أكواخهم مذابح المرمر المنقوش يستخدمونها موائد يأكلون عليها، ونصب الرخام يدقون عليها الحبوب، والكتابة اليونانية التي عليها تطمسها أقدام نسائهم وأولادهم». انتهى كلام المقتطف ملخصاً.

وانتقاد هذا الرحَّالة في محله؛ إذ يأسف العاقل على انطماس تلك الأثار وعدم المبالاة بها وبناء تلك البيوت الحقيرة فوق أنقاضها، بل مما يزيد في الأسف عدم اهتمامهم بإصلاح جامع عمَّان فترى آثار الردم الغابر في صحنه على ما هو عليه، وآثار خراب رأس منارته على حاله، ولقد كلمت أحد علمائهم وأشرت له أن يأمر مياسيرهم بإصلاحه، وإصلاح رأس منارته لأنها أول منظور من البلد؛ فكان جوابه: أن عشيرته يهتمون بعمران الدُّنيا دون عمران الآخرة! فأسفت لفقد الشعور إلى هذه الدرجة.

هذا، ولم أر لعمَّان ذكراً في تواريخ الفتوحات العمرية ولا الأيُّوبية، مما يدل على أنه لم يكن وقتئذٍ لها شأن يذكر، وذلك لفقد حصون وقلاع تحمي حوزتها أو تكون مَلجأ للجنود، ومنه يعلم قدم العهد بخرائبها، وأنه قبل الإسلام بقرون، ومع ذلك فلم تَعْدَمْ نوع عمران كما يُنبىء عنه جامعها وكلام البشاري وياقوت المتقدم.

عوداً على بدء

وقد قيَّض المولى لنا في عمَّان أحد الأخلاء الدمشقيين المقيمين ثمَّةَ لمأمورية، فبذل وسعه في الإكرام والإيناس الزائد، ورأينا من إقبال فقهاء الجراكسة ووجهائها المقيمين هناك ما لم نتأمله، فكانوا يتسابقون للاجتماع بالمحالّ التي نتنزَّه في فيحائها، ونقيم سَحَابة النهار في وارف أَفيائها، ولم تفتر ولائمهم لأجلنا في الصباح

والمساء، ولهم تأنق في تهيئة الشاي[١]، واقتصاد في المعيشة غريب.

ورام خطيب عمان أن يُوكلني في خطبة الجمعة بها فأبيت عليه، كيلا يختلف الحال على المصلِّين، وظهر لي أن إبقاء ترتيبهم بخطيبهم أولى.

ودعانا أيضاً في خلال ذلك أحد ضباط العسكر المقيمين هناك لمأمورية الخط الحجازي، وكان مع رفقته ضارباً خباءه في قمة جبل عمان الشمالي، فذهبنا إليهم، وأشرفنا على تلك البطاح الغَنَّاء، وانتشقنا صافي ذاك الهواء.

هذا ولم تخل بحمده تعالى مجامعنا عن مذاكرات علمية، ولطائف أدبية، ومفاكهات تستروح إليها النفوس، واستصحاب كتب أشهى لدينا من منادمة العروس[٢].

هذا، وتجارة البلدة آخذة في المزيد، كما أن عمرانها ـ لكثرة النازلين فيها، وتوالدهم ـ في تقدم أيضاً.

وذاكرت فقيههم في عادة حملهم السلاح، وشده بزنَّارهم، حضراً وسفراً، وأنَّ الأولى بهم تركه حضراً، ولا سيَّما في الجماعة

---

(١) ألف العلامة القاسمي رسالة لطيفة بعنوان: «رسالة في الشاي والقهوة والدخان» وانتهى من تأليفها سنة (١٣٢٢هـ) وهي مطبوعة.

(٢) يقول القاسمي رحمه الله:

جزى اللهُ عنَّا الكتب خَيْراً فإنها ... تَنُمُّ أحاديثَ الحبيب بِلَفْظِهِ
فَمَوْقِعُها أَحْلَى مِنَ الماءِ لِلَّذِي ... بِهِ ظَمَأٌ وَقْتَ الهَجِيرِ وَقَيْظِهِ

في المسجد، فقال: هذا من أخذ الحذر من العدو. فقلت: أمَّا في وقت الخوف فمسلَّم، وأمَّا في الأمان فلا معنى له! ثُمَّ علمت أنهم ماشون في هذا مع عوائدهم وأزيائهم.

وشاهدتهم في دفنهم الموتى يختارون اللحد، ويتقدم فقيههم معيناً للحفار في المقبرة بلا مبالاة، ويصلُّون على موتاهم قرب المقبرة، ثُمَّ ينصرفون إلى تعزية أهل الميت في بيته، ويجلسون بضع دقائق، ولا يقف المعزَّى في محلٍّ كما جرت العادة بالشام، ويُعلمون على الميِّت صغيراً أو كبيراً.

ولهم تمهل حسن بعد أداء الجماعات في المسجد، فلا يسرعون الانصراف، ولا يَلْغُون في حرم المسجد أصلًا، وقبل صلاة الجمعة يتحلقون في المسجد حول صفّ من القرآن، ويقرؤون مناوبةً، كل واحد رُبعاً، وهكذا إلى الأذان.

وقد كانت مدة إقامتنا في عمان عشرة أيام.

الذهاب إلى السّلط

ثُمَّ مساء الخميس عاشر صفر الخير، بعد أداء فريضة العصر، توجَّهنا من عمَّان بقصد السَّلط[1]، فودَّعنا الأحباب وسرنا من الطريق الآخذ إليها، وشاهدنا ضواحيها المخصبة، وجبالها المملوءة بالكلإ، المفروشة بأصناف الزهور المتنوعة الأشكال.

---

(١) تبعد السلط عن عمَّان العاصمة (٢٠) كيلو تقريباً، وهي تابعة لمحافظة البلقاء.

ولمَّا أبصرت الخصب المدهش في بطاحها، علمت أن لذلك اتخذت قديماً عاصمة مملكة، وشيدت لها القلاع والحصون، وبسببه يضرب المثل بسمن البلقاء.

ومررنا في الطريق على عيون لطيفة، صادفنا عند إحداها المغرب، فتوضأنا ثمة وأدينا الفريضة، ثُمَّ أخذنا بعد ذلك في وهاد منخفضة، وجبال شامخة، إلى أن وصلنا بعونه تعالى نحو الساعة الرابعة ليلًا إلى السَّلط، وكان خرج لاستقبالنا عند المساء أصحابنا هناك، وبقوا بعد الغروب حصة كبيرة، ولما استبطؤوا قدومنا عادوا إلى بيوتهم.

وسبب تأخرنا عنهم ـ مع أنهم أرسلوا لنا الدواب من عندهم، وتحققوا وصولنا لطرفهم المغرب ـ أن دوابهم لما وصلت لعمَّان وقت الظهر، سلط على المكاري[1] بعض العسكر الهمج فاستاق دوابه منه، وعيي أن ينقذها منهم فما قدر، بل جلدوه على فخذه عدة جلدات، أخزاهم الله تعالى! وكان بعض ظلمة الضباط أمرهم إذا ظفروا بدواب أن يأتوا بها، ليحملوا عليها عند محطة عمَّان بعض أمتعة العساكر القادمة من الحج، ولما بلَغَنا ذلك أرسلنا أحد أحبابنا لاستنقاذها، فسار من عمَّان إلى محطة الوابور وقت الظهيرة، وكلَّم مُقدَّم العسكر هناك فسرَّحها، وأتى المكاري في صحبته، فعندئذٍ أخذنا في التأهب،

---

(١) مكاري: لفظ كان شائعاً في العصر الإسلامي، واستمر حتى نهاية العهد العثماني، ويقصد به الذي يكري دواب الجر والحمل. انظر: «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» لمصطفى الخطيب (ص٤٠٥).

وتأخر الوقت المنتظر قدومنا فيه للسَّلط، ومثل هذه العادة في تسخير الدواب قهراً عن أربابها مألوفة في دمشق أيضاً كثيراً، ولا زاجر ولا رادع، فإنا لله!

وكان نزولنا في السَّلط عند أخوال ابني ضياء الدِّين سلَّمه الله تعالى، وعمَره بالعلم والطاعة[1]، حيث متجرهم مع العرب ثمة، ولهم هناك دار يقطنونها بالتناوب نحو نصف عام، ثُمَّ يعودون للشَّام.

وفي الصباح قدم لزيارتنا وجهاء السلط ولفيف من موظفي حكومتها، ثُمَّ أخذ يتوافد علينا من عرفنا قبل، ومن تعرَّف بنا هناك، ليلًا ونهاراً، وغصَّت مجالسنا بهم وزادت على مجتمعات عمَّان، وكان أحد رفقائي يقول لي: إنَّ طالعنا طالع جمعِ شملٍ، وصفو وقت.

واستحسنت من متنزَّهات السَّلط حدائقَ عَيْن الجادور، ففي أغلب الأوقات نستغرق لديها النهار إلى المساء، ومعنا كتبنا التي هي زاد أرواحنا، وكان يأتينا غداؤنا بحمده تعالى إليها، ويفد إلينا عند المساء بقية أصحابنا، ونقرأ عليهم مما معنا، ويمضي الوقت

---

(١) تزوج الشيخ جمال الدِّين القاسمي من عائلة آل أبو قورة. وأما ابنه ضياء الدين فقد كان طالب علم، مشى على طريقة والده وأجداده في سلوك سبيل العلم، كما تولى الإمامة في جامع والده الشيخ جمال الدِّين القاسمي ـ جامع السنانية ـ، ولكن اخترمته المنية في مطلع شبابه، حيث توفي سنة (١٣٤٧هـ). انظر ترجمته بشيء من التفصيل، «آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل» لراقمه (ص١١٧ ـ ١٣٠ ـ طبعة دار البشائر الإسلامية).

في مسائل ولطائف، وهكذا قضينا عشرة أيام كانت مظهراً للأُنس والسرور، بحمد الله الشكور، وانتزهنا يوماً جهة قبة الجادور بين حدائق العنب، وتجولنا في تلك الرياض الشماء.

وقد أخذ الآن يستفحل عمران السلط، وأصبحت تشاد فيها البيوت المرتفعة، بنهضة عجيبة، وأكثر أهلها من نابلس[1]، ولا يزالون يتوافدون إليها للتجارة والعمارة والولاية في الحكومة، بحيث كادت تُسمى نابلس الثانية، أو الصغرى. وسبب تهافتهم عليها لذة مورد الثروة الذي ذاقوه من معاملة الأعراب البادين حولها، ومعاملتهم لهم على أصناف من المعاملات التجارية.

ولأهلها تعصب زائد، وتعاضد عجيب، ومتى لم يوافقهم حاكم أو مأمور يذيقونه ألواناً من الجفاء، ثُمَّ يتآمرون على عزله أو ارتحاله، وتنجح مآربهم في ذلك.

والسَّلط الآن مركز قائمقامية، تتبعها مديرية عمَّان، وفي «القاموس» و«شرحه»: «السَّلْطُ موضع بالشَّام، وَوَهِمَ مَنْ كَتَبه بالصَّادِ والتَّاءِ، ويُقَالُ له: السَّنْطُ». انتهى[2].

---

(١) تقع نابلس على بُعد (٦٩) كم إلى الشمال من مدينة القدس. «معجم أسماء المدن والقرى» (ص٢٦٥).

(٢) «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي (١٩/ ٣٧٦ ـ طبعة وزارة الأعلام في الكويت المحروسة).

العزم على السفر إلى القدس

ثُمَّ عزمنا على المسير منها إلى الأرض المُقَدَّسة، فخرج لوداعنا إلى منحدر عين الجارود في طرف الوادي جمع من الأصحاب، وسرنا على بركة الله تعالى قُبيل المغرب بساعة مساء الأحد في ٢٠ صفر الخير، حتَّى قطعنا حدائق السلط البديعة، في منفرج تلك الجبال المخصبة، المتخلل بينها عيون عذبة جارية، وهي بمقدار ساعة ونصف، ثُمَّ تخللنا مسالك بين جبال، فصرنا تارةً في انخفاض، وآونة في انحدار.

وسلكنا في وادٍ يقال له وادي شعيب، لزعمهم أن شعيب عليه السلام مدفون في جبلٍ عالٍ هناك، إلى أن أنخنا على حافة نهر ذلك الوادي قبيل العشاء، وصليّناها مع المغرب مجموعة جمع تأخير، ثُمَّ أحضرنا ما زُوِّدنا به من العَشَاء، وأحضر لنا المكارون من القصب والحطب، وأوقدوا لنا ناراً، فأضاءت ما حول النهر عن أشجار من الدفل البديع المونق، **مُكلَّلٌ بتيجان حُمر بهيجة المنظر.**

وبعد تناول الطعام أخذنا في الاضطجاع ثمة، ولم ينلنا برد أصلًا، بحمده تعالى؛ لأن ذلك الأسبوع زادت فيه الحرارة بحكمته تعالى.

حتى إذا كانت الساعة الخامسة من الليل، وقرب ظهور القمر من رؤوس الجبال تحرك الركب للمسير، فامتطينا متون الجياد، وسرنا في ذلك الوادي جانب النهر إلى أن قطعناه، وارتقينا على ظهر جبل،

ومنه إلى جبال الغور[1] الهائلة التي كان من الحكمة قطعها ليلًا، وإلَّا فليس الخبر عن هولها كالعيان، خصوصاً في مسالك منها على حرف الجبل في غاية الضيق، ومنها ما هو في غاية الانحدار مع التوعر، إلى أن وصلنا مع الفجر إلى منحدر جمعنا مع ذلك النهر في منزل يقال له: مشرع سارَّة، فنزلنا وصلينا الصبح بغلس، وفي جنبة ذلك النهر بستان قدِّم لنا منه خيار، فأكلنا.

ثُمَّ امتطينا الخيل وسرنا مجدين، وخضنا مراراً في ذلك المشرع، وجاوزناه إلى حافته الأخرى، وكان الطريق أسهل مما مر، حتَّى أشرفنا بعد طلوع الشمس على فيحاء واسعة، ولاح لنا من بعيد سواد أَرِيحا[2]، ولم نزل مجدِّين حَتَّى أنزلنا أحد أخوال ولدي ضياء الدِّين ـ وكان معنا ـ عند بعض معارفه من العرب، وغِبَّ أن فرشوا لنا ما لديهم نمنا نحو ساعة، ثُمَّ جلسنا، وأحضروا لنا غداءنا، ودعونا للمقام عندهم فأبينا.

ثُمَّ ركبنا من عندهم ضحوة، وسار معنا خال ولدي خطواً واسعاً، ثُمَّ أمرناه بالانصراف وودعناه، ووالينا المسير إلى أن وصلنا إلى نهر الشريعة، وعلونا على جسره الخشبي، وأردنا النفوذ منه، فإذا

---

(١) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٤/ ٢١٧): «غور الأردن بالشام بين البيت المقدس ودمشق...».

(٢) تبعد مدينة أريحا عن مدينة القدس ـ حماها الله ـ مسافة (٣٧) كم إلى الشرقي منها. «معجم أسماء المدن والقرى الفلسطينية» لحسن لوباني (ص٨ ـ طبعة مكتبة لبنان ناشرون).

بابه مغلق، ولديه بواب لا يفتح إلَّا بجعل معلوم، فإن كان راكباً فعليه ثلاثة قروش، أو ماشياً فنصف قرش، فدفعنا له ثلاث بشالك[1]، وبلغنا أن ضمان هذا الجسر الخشبي ألف وعشرون ليرة عثمانية، تضمنه الدولة في كل عام، وليت ـ إذ أبوا إلَّا الخراج أو الضريبة على من يمر عليه ـ وُفِّقوا لبنائه من قناطر حجرية، أسوة بمن كان يبني من الأمراء الأقدمين. كذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون! واشتهر أن أول من عمر هذا الجسر الملك الظاهر برقوق من ملوك الجراكسة بمصر فقال أحد الأدباء[2] وقتئذٍ:

بنى سلطاننا برقوق جسراً ... بأمر والأنام له مطيعة
مجازاً في الحقيقة للبرايا ... وأمر بالسلوك على الشريعة

الوصول إلى أريحا

وبعد أن جاوزناه اخترقنا في جبال ملحة لا نبات فيها، إلى أن وصلنا نحو الظهر إلى أريحا، ونزلنا في دار حكومة مديريتها، ريثما يبرد الهواء ونؤدي الفرض، فصلينا الظهر وتناولنا الشاي بعد القيلولة، ثُمَّ صلينا العصر.

---

(١) البشلك عملة عثمانية وهي تساوي خمس بارات المصنوعة من الفضة، وهي تعد ـ أي البارات ـ من أصغر وحدات النقد المتداولة في العصر العثماني. «معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية» للخطيب (ص٦٤).

(٢) ذكر محمد عبد الجواد القاياتي في «نفحة البشام في رحلة الشام» (ص١١١) أنهما لعائشة الباعونية.

وركبنا منها إلى خان بين أريحا والقدس، وقوَّامه نصارى، فنزلناه بعد المغرب، وكان الهواء هب عاصفاً، وبرد الجو، فاضطررنا إلى المبيت، لا سيَّما وفي المسافة إلى المقدس بقيةٌ بعد، فصلينا المغرب في حجرة فيه واسعة، ونمنا فيه.

ثُمَّ استيقظنا قبل الفجر فتوضأنا، وغِبّ الوتر سرنا من ذلك الخان، إلى أن أسفر الوقت فنزلنا على جانب الطريق، وأدينا الفجر، ثُمَّ ركبنا، والطريق أخذت بالمارة تُقْبلُ وتُدْبر منها، إلى أن بدت أعلام قرية يقال لها العزرية، ومنها لاحت مباني بيت المقدس من ضواحيه.

الوصول إلى القدس

ثُمَّ دخلنا المدينة من باب الأسباط[1] ضحوة الثلاثاء في ٢٢ من صفر الخير الموافق لخمس من أيار، فأنزلنا المكاري في خان هناك، وبعد أن وضعنا أمتعتنا في حجرة فيه أتينا إلى الحرم[2] الشريف، **فلا تسل عما هجم علينا من السرور المفرط، وانشراح الصدر، وبهجة**

---

(١) هو أحد أبواب المدينة، شمالي الأقصى إلى الشرق وهو باب قديم، وقد رُمم وأصلح مرات عديدة، من آخرها ما كان في عهد السلطان سليمان القانوني سنة (٩٤٥هـ)، وهو غير أحد أبواب المسجد الأقصى المسمى أيضاً بـ«باب الأسباط». انظر: «كنوز القدس» (ص٣٥٢).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٨٩): «الأقصى اسم للمسجد كله، ولا يُسَمَّى هو ولا غيره حرماً، إنما الحرم بمكة والمدينة خاصة»، وكذا أفاض في ذكره أيضاً =

النَّفْسِ، وانتعاش الفؤاد، وحسبناه قطعةً من الجَنَّةِ قد دخلناها حامدين شاكرين لفضله، ونحن نُكَفْكِفُ الدَّمْعَ فَيَنْهَمِل.

ثُمَّ وردنا الصخرة الشريفة، وأُرينا آثارها.

ثُمَّ استقبلنا شخص من خُدَّامها، وسألنا عن نُزلنا، فقلنا: الآن أمتعتنا بالخان، فدلَّنا على الزَّاوية الداودية(1)، وقال: هي منزل الفضلاء القادمين لهذه البلدة، ولها إطعامية سلطانية. لذلك ذهبنا بعد العصر إليها، فاستقبلنا قيِّموها الكرام، وأصعدونا إلى غرفة فَخيمة، ثُمَّ أكدوا علينا في تناول العشاء والمنام؛ فامتثلنا، وشاهدنا منهم غاية الترحاب والإيناس، ورغبوا أن نكون نُزلاءهم مدة مقامِنا؛ فأبينا، رغبة في أن يكون نزولنا في الحرم نفسه.

= فقال كما في «مجموع الفتاوى» له (٢٦/ ١١٧): «وليس في الدنيا حرم ـ لا بيت المقدس: ولا غيره ـ، إلَّا هذان الحرمان، ولا يُسَمَّى غيرهما حرماً...». ثُمَّ قال رحمه الله: «والحرم المجمع عليه حرم مكة، وأما المدينة فلها حرم أيضاً عند الجمهور، كما استفاضت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ».

وكذا أشار إلى هذا ابن هشام الأنصاري الحنبلي في كتابه: «تحصيل الأنس لزائر القدس» (ص١٥٩).

(١) قال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في «الرحلة السَّامية» (ص٣٠٤): «الزاوية الداودية بناها السلطان عبد المجيد لنزول الزوار ونحوهم بها».

وفي تمام سياق كلام القاسمي ما يفيد ذلك أيضاً، وأشار إليها صاحب «المفصل في تاريخ القدس» عارف العارف (ص٥٠٢).

وفي يوم الأربعاء نوهوا بنا في الحرم، فتقاطرت علينا أرباب الحُجرات في صحن الحرم وحول الصخرة، كلٌّ يرغب أن نأخذ حجرته إن شئنا.

ثُمَّ دلنا شخص على حجرة داخل الحرم الأقصى في قبليِّه، جهة منبره الأيمن، جانب مقصورة الحديد[1]، فآثرتها على كل حجرة؛ لقربها من الحرم، الذي هو البغية من الرحلة، وتيسُّر بيت للطهارة فيها، ولإشراف برانيها على ما حول الحرم من المباني والبطاح الفيحاء.

ولقد زارني من لا شك في صلاحه وقال لي: **أبى الله إلَّا أن تكونوا في حرمه، وأضياف بيته. فأبكاني سروراً، وسجدت لله شكراً.**

ثُمَّ راجعت «تاريخ أُنس الجليل»، فرأيته ذكر أن منزلنا المذكور كان في الأصل زاوية، ونصُّ عبارته في مبحث: «ما في بيت المقدس من المدارس والمشاهد بجوار المسجد الأقصى»: «الزاوية الخُتَنيَّة، بجوار المسجد الأقصى، خلف المنبر، وقفها الملك صلاح الدِّين تغمَّده الله برحمته على رجل من أهل الصلاح، وهو الشيخ الأجلّ الزاهد العابد المجاهد جلال الدِّين محمد بن أحمد الشاشي، المجاور في البيت المقدس، ثُم من بعده

---

(١) ذكر هذه المقصورة وموضعها المذكور العليمي في «الأنس الجليل» (١٢/٢).

على من يحذو حذوه»[1].

---

(١) «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» لمجير الدين الحنبلي (٢/ ٣٤، ١٤٤)، وسميت بهذا الاسم، نسبةً إلى الشيخ المعروف بالخُتَنِيِّ.
وذكر ابن فضل الله العمري أنه دخل إلى بعض الأماكن داخل سور الحرم القدسي، وأضاف أن دخوله إليها كان من الزاوية المعروفة بسكن الخُتني.
وقال في مكان آخر: «. . . وبها الآن شيخ يعرف بالختني، وبه تعرف الآن».
ووصفها السخاوي بأنها مدرسة، وذلك حينما ترجم لشهاب الدِّين بن أرسلان، فقد ذكر أن ابن أرسلان مات في سكنه من المدرسة الختنية، بالمسجد الأقصى، من بيت المقدس. وكذلك وصفها نجم الدِّين الغزي حيث قال في «الكواكب السائرة» (١/ ٢١٨): «. . . المدرسة الختنية جوار المسجد الأقصى، وقد تولَّى مشيختها عدد من أكابر العلماء».
ووقع في بعض المصادر تصحيف طباعي فكتب: الخنشنية، الجثنية، والخشية، وكلها تصحيف.
وتقع هذه المدرسة بجوار المسجد الأقصى، خلف المنبر، وقد طرأت عليها تغييرات وإضافات، فبنيت غرف جديدة، ودورة مياه، وأما الجزء الأصلي من بنائها، فقد بقي منه بعض العقود والشبابيك.
وحفرت السلطات الإسرائيلية المحتلة ـ لا رحم الله فيها مغرز إبرة ـ نفقاً طويلًا تحت سور هذه المدرسة، وهي الآن مكتبة حاوية لمطبوعات حديثة تشتمل على كتب شرعية وتاريخية وأدبية، وتعرف بالاسم السابق «المكتبة الختنية».
انظر مصادر الإشارة إليها والتعريف بها: «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري (١/ ١٦٧)، و«الضوء اللامع» (١/ ٢٨٧، ٤/ ١٩١)، و«الذيل التام على دول الإسلام» للسخاوي (٢/ ٤٧٤)، و«الأنس الجليل» للعليمي (٢/ ٣٤، ١٤٤، ١٧٤، ١٧٩)، و«المدارس في بيت المقدس» لعبد الجليل عبد المهدي (١/ ٤٢٦ ـ ٤٣٩)، و«كنوز القدس» لرائف نجم وغيره (ص٩٨).

المكتبة الخالدية

ولما زرت المكتبة الخالدية[1] في جوار الحرم، طالعت بعضاً

---

(١) سألخص لك مقالتين عن هذه المكتبة الغالية في هاتيك الدِّيار، ثُمَّ أشير إلى ما يتعلق بها في آخر ذلك.

أما الأولى، فهي لمؤرخ فلسطين العلَّامة الكاتب الكبير عبد الله مخلص، حيث قال ما مختصره:

«زرتُ هذه المكتبة سنة ١٣٣٦هـ ـ ١٩١٧م؛ فرأيتُ فيها نفائس المطبوعات ونوادر المخطوطات، ولم أجد مَن تعرَّض لذكر ذخائرها الأدبية فوضعتُ فيها هذه المقالة:

على يمين الذاهب إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس، وعلى قيد غلوة منه مما يلي باب السلسلة توجد **الخزانة الخالدية** التي أنشأها بعض فضلاء هذا البيت الرفيع العماد في مستهلِّ سنة ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م؛ ووضعوا فيها (١١٥٦) مجلداً، وصفّت في برنامج خاص نشروه غداة تأسيسها على غاية من الإيجاز مطبوعاً في القدس في (٧٨) صفحة بقطع ربع عاديّ.

ولم يتعرض لذكرها أحد سوى عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع العلمي في مقالته: «القدس وتواريخها العربية» ـ المنشورة في مجلة المقتبس ـ، وما ذكره حبيب أفندي الزيات في كتابه: «خزائن الكتب في دمشق وضواحيها» ـ المطبوع في القاهرة سنة ١٩٠٢م ـ.

وقد أخبرني وكيل هذه الخزانة السيد محمد أمين الأنصاري أن عدد الكتب فيها الآن زهاء أربعة آلاف مجلد، ثلثاها مخطوط والثلث من نوادر المطبوعات القديمة، وقد ضُمت إليها خزانتا الشيخ يوسف ضياء باشا الخالدي ومحمد روحي بك الخالدي، وخزانة الشيخ أحمد بدوي أفندي الخالدي ـ من رجال الإدارة ـ، فضلًا عما أُهدي إليها من نفائس المطبوعات». «مجلة المجمع العلمي العربي» (٤/٣٦٦ ـ ٣٦٩، ٤٠٩ ـ ٤١٣).

ثم ساق جملة من عناوين نفائس هذه المكتبة، وقد كانت زيارته هذه بعد زيارة العلاَّمة القاسمي لها بنحو خمس عشرة سنة.

وأما المقالة الثانية؛ فهي للدكتور المحقق أسعد طلس، وكانت تحت عنوان «دُور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها»، ومما قال:

«دار الكتب الخالدية: هي أعظم دُور كتب القدس؛ تقع في خط باب السلسلة عن يمين القاصد إلى الحرم، وهي المدرسة المعروفة باسم بركة خان التي آل ملكها إلى آل الخالدي منذ عدة قرون خلت، ولما انتقلت إلى ملك السيدة الجليلة خديجة خانم الخالدي ـ ابنة القاضي موسى أفندي الخالدي، قاضي عسكر بر الأَناضول ـ، أوصت ولدها الحاج راغب أفندي (رئيس المحكمة الشرعية بيافا) أن يجعلها وقفاً ويضع فيها كتب الأسرة الخالدية، فنفذ راغب أفندي وصية والدته في سنة ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م؛ وأعانه على ذلك شيخ الشام الشيخ طاهر أفندي الجزائري؛ فرتَّبا كتبها بمعونة الشيخ أبي الخير محمد بن محمود الحبَّال الدِّمشقي، وطَبعا لها فِهرِستاً يشتمل على أسماء الكتب.

وتحتوي هذه الدار على نحو عشرة آلاف مصنف، فيها نحو خمسة آلاف مخطوطة في كل نوع من الأنواع العلمية العربية والإسلامية.

وقد أُضيف إلى كتب الدار القديمة ـ التي أسسها راغب أفندي ـ كتب خزائن أُخرى لبني الخالدي هم: يوسف ضياء باشا، وروحي بك، وأحمد بدوي بك، ونظيف بك. والأمل معقود أن تضاف إيها الخزائن النفيسة التي كان يقتنيها العلامة الشيخ خليل أفندي **فإن الكتب التي جمعها هي من أنفس المخطوطات العربية، ونرجو أن يكون هذا اليوم قريباً.**

وللدار اليوم قيِّم يحفظها أحسن حفظ هو فضيلة الشيخ أمين الأنصاري الذي أنفق عمره على رعايتها واستهداء الناس ما عندهم من نفائس المخطوطات حفظه الله.

ولها فهرس مطبوع، وهو الذي طبع إبَّان تأسيسها، وهو يحتوي على كتب راغب أفندي، وياسين أفندي، وموسى أفندي

أما بقية كتب الدار فلها فهرس مخطوط نرجو أن يطبع أيضاً حتى يتم النفع بهذه الدار العظيمة.

وسننشر في آخر مقالنا هذا أسماء طائفة من كتب هذه الخزائن لنفاستها وتعريف العلماء بها»، ثم ساق جملة من ذلك.

وكانت مقالته هذه سنة (١٣٦٤هـ)، وذلك في «مجلة المجمع العلمي العربي» (٢٠/ ٢٣٧).

وأما البرنامج المذكور فقد طبع بالقدس سنة (١٣١٨هـ) بُعيد الانتهاء من ترتيبها وتنسيقها من قبل الشيخ أبو الخير محمد بن محمود الحبَّال الدمشقي البيروتي، والشيخ طاهر الجزائري ـ مؤسس دار الكتب الظاهرية في دمشق ـ، وقد قال الحبَّال في مطلع هذا الفهرس:

«وبعد: فقد وفَّق الله تعالى جناب الفاضل الأديب، الفطن الأريب، صاحب المكرمة الحاج راغب أفندي الخالدي الدَّيري المقدسي، بمساعدة بعض وجهاء عائلته الكريمة ـ وهما صاحبا الفضيلة: ياسين أفندي الخالدي، وموسى شفيق أفندي الخالدي ـ إلى تشييد غرفة رحبة على جادة باب السلسلة في القدس الشريف، وضعوا فيها كمِّيَّة وافرة مما وُجِدَ عندهم من بقيَّة كتب آبائِهم وأجدادهم رحمهم الله رحمةً واسعة، وأضافوا إليها بَعضاً من الكتب الموجودة عندهم أيضاً، وجعلوا الغرفة المذكورة دار علوم عموميَّة لمن يرغب المطالعة من أيّ فرد كان، وشرطوا أن لا يخرج منها كتاب حرصاً على المنفعة العامَّة، وهي مفتوحة الأبواب، لجميع الطلاَّب، كلَّ يوم من الصباح إلى المساءِ، وعيَّنوا لها محافظاً أميناً.

فنسديهم جزيل الشكر، ونسأل الله لهم دوام الأجر، ونرجو لهم التقدُّم والنجاح، وللوطن بسببها الخير والفلاح، كما نرجو من وجهاء كل بلدة

. . . .

شهيرة إيجاد مكتبة عمومية كهذه أو أحسن منها، وما ذلك على من وفقه الله لفعل الخيرات بعزيز.

هذا وقد دُعيتُ إلى مساعدة مؤسِّسها المفضال الحاج راغب أفندي، وفضيلة النقَّابة الرحَّالة الشيخ طاهر أفندي الجزائري ناظر المكتبة العموميَّة الدمشقية إلى ترتيب هذه الكتب وإفراد كلٍّ فنٍّ منها على حدة، وكتابة أسمائها على ظهورها مع وضع نمر لها وبرنامج وهو هذا، وقد أتممنا هذا الأمر في وقت قصير مع كثرة أشغالنا المهمَّة.

وقد قرَّظها فضيلة الشيخ طاهر أفندي المشار إليه بقوله:

أقول وقد عَاينتُ كُتُباً نفسيةً تَرُوق ذَوِي الأَلبَابِ وهي مُنى النَّفْسِ
أَيا طَالباً أقْصى المَعارِف راغباً لنيل العُلى بادر لمكتبة القُدسِ»

اهـ.

أقول: وإلى تأسيس هذه المكتبة والإشادة بها أشار فيليب دي طرازي مؤسس دار الكتب اللبنانية في كتابه «خزائن الكتب العربية في الخافقين» (١/ ١٤٢، ١٤٣)، كما أفردها بمؤلف خاص أحد أفراد أسرتها وهو وليد الخالدي «المكتبة الخالدية في القدس» المطبوع في بيروت سنة (١٤٢٢هـ)، وانظر مفصلًا مقدمة «فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية بالقدس» (ص٣ ـ ٥٤)، إعداد نظمي الجُعبة وتقديم وليد الخالدي، طبعة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ـ لندن سنة ١٤٢٢هـ.

* **وأرى أن أنقل ما قاله وليد الخالدي في كتابه «المكتبة الخالدية» (ص١، ٢) فهو أحد المعاصرين:**

«تقع المكتبة الخالدية في قلب القدس القديمة، على مسافة مائة متر من الحرم الشريف في الناحية الجنوبية من طريق باب السلسلة، وتطل على البراق وعلى حي المغاربة السابق عند ملتقى هذا الطريق بعقبة أبي مِديَن المؤدِّية إلى الحي.

ويصف أبو اليمن مجير الدِّين الحنبلي العُليمي، صاحب «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» الذي انتهى من تأليفه سنة (٩٠٠هـ)، باب السلسلة بأنه **عمدة أبواب الحرم**، كما يصف طريق باب السلسلة بأنه «الطريق الأعظم»، وذلك لكونه أكثر الطرق المؤدية إلى الحرم الشريف سلوكاً، ولأنه يصل باب السلسلة بالقلعة غرباً عند باب الخليل.

يشكل طريق باب السلسلة اليوم الحد الفاصل بين الحي اليهودي الموسع في أعقاب حرب حزيران، يونيو ١٩٦٧م وبين الحي الإسلامي إلى الشمال منه، أمَّا حي المغاربة فقد حلَّت محلَّه الباحة التي أنشأتها إسرائيل حينذاك على أنقاضه أمام البراق الذي يعتبره اليهود حائط مبكاهم المزعوم بعد أن دكت مبانيه جميعاً بالجرافات، وكان الملك الأفضل ابن صلاح الدِّين الأيوبي وقف بعض الحي لجهة البر والإحسان سنة ٥٨٩هـ، ووقف معظمه لاحقاً أحد حفدة أبي مدين شعيب بن الحسين على الحُجاج المغاربة المجاورين سنة ٧٢٠هـ، وقد أزيل مكان أبي مدين هذا مع الحي الذي كان على بُعد أمتار من الخالدية، وكانت وفاة أبي مدين سنة ٥٩٤هـ في ظاهر تلمسان ـ المغرب.

وألحق بالخالدية مبنى آخر على الجانب المقابل من طريق باب السلسلة، إلى الشرق منها في اتجاه الحرم الشريف.

وتحفّ بطريق باب السلسلة مبان مملوكية عريقة غير الخالدية، فإلى الغرب منها المدرسة الطشتمورية ٧٨٤هـ، وإلى الشرق منها دار القرآن السلامية ٧٦١هـ، ثُمَّ دار الحديث والمدرسة التنكزية ٧٢٩هـ، وقبالتها زاوية الكيلانية ٧٥٣هـ، ثُم إلى الشرق منها دار حديث ٦٦٦هـ، فالمدرسة الطازية ٧٦٣هـ، فزاوية الجالقية ٧٠٧هـ، فتربة تركمان خاتون ٧٥١هـ، فزاوية السعدية ٧١١هـ، ولقد استولت إسرائيل على كل من التنكزية والسلامية والطشتمورية، ولم يبق على الجانب الجنوبي من طريق باب السلسلة في أيدينا سوى الخالدية» اهـ.

. . . .

وانظر أيضاً: «المخطوطات العربية في فلسطين» جمعاً للمقالات السابقة وغيرها لصلاح المنجد (ص١٠، ٢٣، ٦٣)، وإني لأعتذر عن الإطالة لأن هذه المكتبة غالية على قلوب المسلمين، كما أنها المكتبة الوحيدة التي زارها القاسمي.

(لطيفة): قال لي أحد الباحثين من طلبة العلم في غزة وهو الأخ الفاضل الشيخ محمد خالد كُلاَّب كان الله له: كأن القاسمي كان مستعجلًا في زيارته للقدس حيث لم يصف بقية مكتباتها ويورد شيئاً مما فيها، فقلت له: كان القاسمي مُتشوِّقاً إلى المسجد الأقصى وزيارته، والمحافظة على الصلوات فيه مع الذهاب لبقية الأماكن التي حوله ومعرفتها، واللقاء بأهل العلم والفضل، ومقابلته لنسخة «الشفاء» للقاضي عياض، وتبييضه لكتابه «قواعد التحديث» وإنهاء نَسْخِه له في المسجد الأقصى، وغير ذلك مما لم يظهر لنا.

(تتمة أخيرة حول المكتبة الخالدية):

أولًا: بخصوص الشيخ طاهر الجزائري فهو أحد من سعى في تأسيس هذه المكتبة، وذلك أنه كان قد نفي إلى القدس. انظر: «خزائن الكتب في الخافقين» (١/ ١٤٣)، وقد كان له سابق فضل في تأسيس مكتبة الظاهرية بدمشق والسعي إلى طبع فهرس لها، ثم لما جاء إلى القدس شارك في تأسيس المكتبة الخالدية؛ يقول تلميذه محمد سعيد الباني فيما ذكره لسعيه الحثيث في تأسيس المكتبات العامة في كتابه عنه «تنوير البصائر» (٢٥): «كما أن بسعيه وتشويقه تأسس غير مكتبة في كثير من مدن القطر السوري، كالمكتبة الخالدية في القدس وغيرها»، وانظر أيضاً: «كنوز الأجداد» لتلميذه الآخر محمد كردعلي (ص١١).

ثانياً: أشار عبد الله مخلص في مقالته السابقة الذكر في أثناء كلامه عن تأسيسها إلى أن الشيخ الرحالة خليل الخالدي كان له أيضاً دور في إنشاء هذه المكتبة، وهو أحد علماء المخطوطات في القرن الماضي جمعاً ومعرفة لها.

من نفائس كتبها، وترددت إليها كثيراً، واستعرت منها «الشفاء» للقاضي عياض، عليه سماعاتُ كثير مِن المُحدِّثين، وهو مقابَلٌ على نسخةٍ مقابلةٍ على نسخةِ المؤلف[1]، فشرعت في مقابلة نسخة لي[2] عليه في الحجرة المذكورة، وكان يساعدني في المقابلة من كان راحلًا معي من دمشق إلى انتهاء الرحلة المذكورة الشيخ عبد اللطيف بن

وانظر ذكر حال مخطوطاته ومصيرها «معاهد العلم في بيت القدس» (ص٣٩٠)، كما أنك تجد في آخر ما ألحقته من صور في آخر الكتاب وقوفه على باب المكتبة الخالدية وداخلها أيضاً.

ثالثاً وأخيراً: ممن زار المكتبة الخالدية من علماء المخطوطات ووصف بعضاً منها: الشيخ عبد الحي الكتاني، وذلك في كتابه «فهرس الفهارس»، حيث أشار إلى بعض نوادرها (١/ ٤٠٧، ٢/ ١٠٣٧، ١١٣٩، ١١٤٥)، وذكر أنه زارها سنة (١٣٢٤هـ)، وكان مما ذكر كتاب «رونق الألفاظ» ليوسف بن شاهين سِبْط ابن حجر، وعليه خط ابن قطلوبغا.

(١) هذه النسخة لا وجود لها الآن في المكتبة، فإنها لم تذكر في الفهرس الكبير الحالي، وكذا لم يذكرها كل من ساق جملة من نوادر هذه المكتبة، وقد سألت بعض الباحثين من أهل فلسطين فقالوا: قد سرقت الجامعة العبرية كثيراً من المخطوطات.

(تنبيه): أشار إلى هذه النسخة واضعوا برنامج المكتبة (ص١٢) حيث قالوا: «كتاب الشفا بخط جيد كتب في غرناطة من بلاد الأندلس سنة ٥٩٣، مقابل على نسخة المصنف».

(٢) كأن القاسمي كان على علم بتلك النسخة ولذا تراه أحضر معه نسخته الخاصة من «الشفاء» ولعل من أخبره بذلك هو الشيخ طاهر الجزائري فإنه صديقه الحميم.

حسين بن محمد الشهير بالصَّفدي من أهالي دمشق[1]، وأحياناً رفيقنا الثالث الشيخ ياسين بن الحاج رشيد الفرا الدمشقي[2]، وفقهما الله تعالى لخدمة العلم الشَّريف، هُما وذرِّيَّتهما.

ثُمَّ طلب مني مجاورو الحرم قراءة درس عامٍّ **فأبيت خوفاً من دخول العُجب عياذاً بالله، فتحبط الرحلة**، وشكَوا إليَّ فقد العلماء من تلك الدِّيار المباركة[3]؛ فاسترجعت وتحوقلت.

ودعانا في مدة إقامتنا بعض التجار المياسير، وبعض أهل الأدب لداره والإقامة عنده، فأجبت الدعوة دون المُقام، ضنًّا على جوار الحرم الشريف.

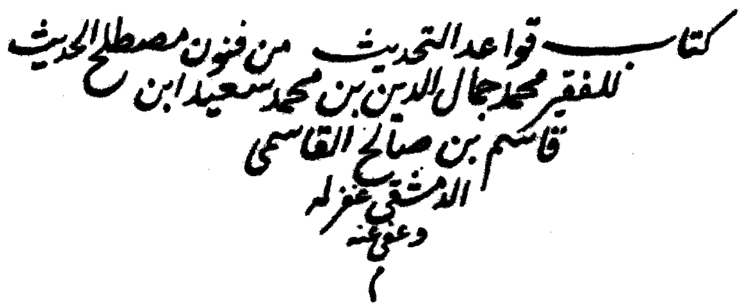
* * *

---

(١) لم أقف له على ذكر له فيما بين يدي من مصادر دمشقية، والله أعلم.

(٢) شيخ فاضل، وله رحلة وتجارة إلى الحرمين، وله إجازات من بعض العلماء، توفي سنة (١٣٦٨هـ). ترجمته في «إتحاف ذوي العناية» للعزوزي (ص٤٨)، و(ص٤٨)، و«أعلام دمشق» للفرفور (ص ٣٥٩).

(٣) الشكوى من قلة العلماء، أشار إليها محمد بن جعفر الكتاني في رحلته إلى القدس سنة (١٣٢١هـ)، وهي في نفس السنة التي رحل إليها القاسمي؛ وذلك في كتابه «الرحلة السَّامية» (ص٣١٣).
وبهذا يتضح لك وجه المفارقة بين ما ذكرا وبين ما ذُكر أن الغزالي لما زار المسجد الأقصى نحو سنة (٤٨٨هـ) بكى، وذلك أنه لم يجد فيه إلَّا ثلاثمائة عالم ومدرِّس! «معاهد العلم في بيت المقدس» لكامل العسلي (ص٢٩).


كتاب قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث
للفقير محمد جمال الدين بن محمد سعيد ابن
قاسم بن صالح القاسمي
الدمشقي غفر له
وعفي عنه

عنوان «قواعد التحديث» للقاسمي بخطه
الذي أنهى تبييضه في المسجد الأقصى.

ثم صححته في رحلتي القدسية

في اواخر المحرم وبيضت جانبا كبيرا من آخره في عمان البلقاء ايام

سيري الى القدس منها واقامتي بها عشرة ايام من اوائل صفر

الى ان كملت نسخا وتبييضا بعونه تعالى صباح الخميس لخمس بقين من صفر المذكور عام ١٣٢١

في المسجد الاقصى داخل حرمه الشريف ايام اقامتي في حجرة القبلية

والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا قاله بفمه

ورقمه بقلمه العبد الذليل الضعيف افقر الورى لرحمة مولاه

محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن اسمعيل بن ابي بكر

القاسمي الدمشقي غفر الله له ولوالديه ولاسلافه واشياخه

آخر قواعد التحديث للقاسمي

وفيه بيان أن القاسمي انتهى من تبييضه في المسجد الأقصى.



صورة عنوان فِهرس المكتبة الخالدية الذي صدر بُعيد تأسيسها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كتب على نفسه الرحمة واجزل علينا بفضله النعمة والصلاة والسلام على نبيه الذي أُسري به ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وخصَّه بكتاب لا تحصر مزاياه ولا تُستقصَى وعلى آلهِ الأَطهار وأَصحابه الأَخيار

أَما بعد فيقول الفقير اليه تعالى راغب الخالدي الدَّيْري[1] المقدسي ابن الشيخ نعمان بن الشيخ راغب بن الفقيه محمد بن السيد علي ابن محمد بن الشيخ خليل بن الشيخ محمد صنع الله بن الشيخ خليل بن القاضي شرف الدين بن الشيخ عبد القادر ابن الشيخ طه بن الشيخ صالح بن الشيخ يحيى بن مولانا قاضي القضاة محمود نجم الدين ابو البركات الديْريّ بن زين الدين بن عبد القادر بن الشيخ زين الدين عبد اللطيف بن شمس الدين بن شيخ الاسلام قاضي القضاة محمد بن عبد الله شمس الدين المدفون في مأمن الله وهو ابن جمال الدين عبد الوهاب بن قاضي

[1] والديري نسبة الى دير عثمان قرية من اعمال نابلس

صورة الصفحة الأولى من الفِهرس المذكور بقلم مؤسسها راغب الخالدي.

القضاة وملك العلماء صاحب التصانيف الجليلة التي من جملتها كتاب السهام الخارقة في الرد على الزنادقة وتكملة شرح الهداية وهو سعد بن محمد بن عبد الله ابن سعد بن ابي بكر بن صالح بن علي بن جعفر بن مصلح بن غانم ابن أوفى ابن سليمان بن جعفر بن محمد بن سيدنا خالد سيف الله المسلول ابن الوليد بن لمغيرة القرشي المخزومي ليث بني مخزوم رضي الله تعالى عنه

هذا برنامج الكتب الموجودة في مكتبتنا الخالدية التي تم لنا تأسيسها في بيت المقدس ابتداء هذه السنة المباركة سنة ١٣١٨ في العصر الحميدي المنير الازهر بظل حضرة سيدنا ومولانا امير المؤمنين السلطان بن السلطان

السلطان الغازي عبد الحميد خان

واسطة عقد سلاطين آل عثمان العظام محيي العلوم والمعارف ابد الله دولته وايد صولته وادام عزه وايامه ونشر في الخافقين اعلامه· وقد جعلناها دار علوم عمومية وضعنا فيها كلما عثرنا عليه من نفائس كتب آبائنا واجدادنا رحمهم الله تعميماً للمنفعة وسنتبعها ان شاء الله بكل ما نحصل عليه من الكتب النادرة التي تزيدها رونقاً وجمالاً وبهجة وكمالاً

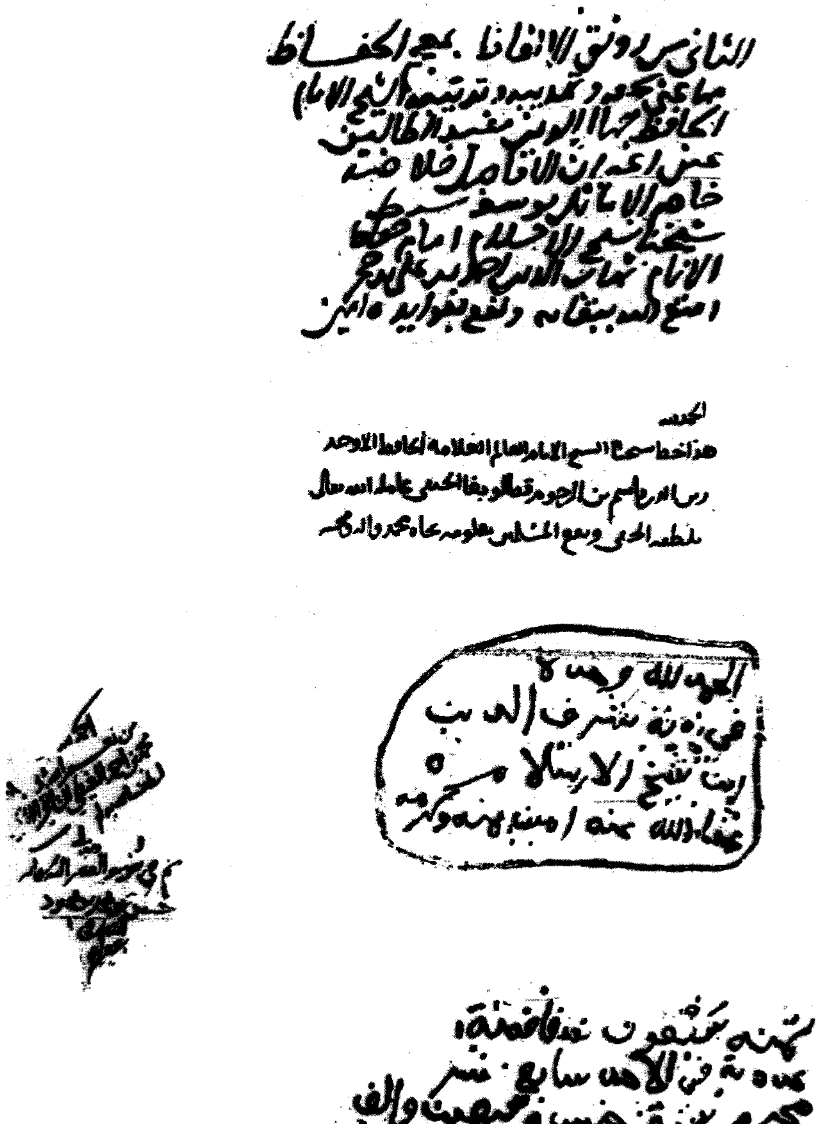
صورة الصفحة الثانية من الفِهرس المذكور.

سجل كتب المكتبة العمومية

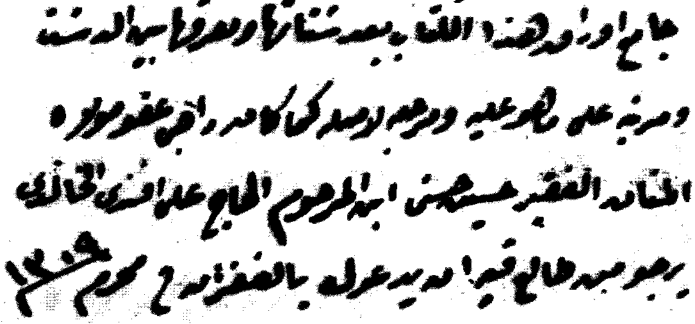
هذا سجل جليل يتضمن تعليمات المكتبة العمومية فى دمشق التى هى من آثار عصر من ازدان به
سرير السلطنة العثمانية وازدهى واصبحت عرائس العلوم ببهجته العلية ترفل فى حلل العلاء والبها
حضرة مولانا السلطان ابن السلطان السلطان عبد الحميد خان الثانى اناله الله سبحانه اقصى الامانى
ونتائج موفقية صاحب الابهة والدولة والى سورية حضرة حمدى باشا منحه الله
سبحانه كل ما يشا مع اسماء الكتب الموجودة بها وعددها واسماء
مؤلفيها ومن وقفها وبعض ملاحظات مهمه

طبع بمطبعة الجمعية الخيرية بدمشق الشام المحمية
١٢٩٩

صورة لفهرس مماثل للمكتبة الخالدية، وهي مكتبة الظاهرية بدمشق
التي سعى في تأسيسها وفَهرستها طاهر الجزائري
أحد مؤسسي الخالدية المذكورة، وكانت طباعته سنة (١٢٩٩هـ).



صورة نموذج من نفائس الخالدية، وهو كتاب «رونق الألفاظ» لِسبْط ابن حجر العسقلاني، وعنوانه بخط العلامة قاسم ابن قطلوبغا المتوفى سنة (٨٧٩هـ)، ويلاحظ عليها تملك لنجم الدِّين الغيطي المتوفى سنة (٩٨٤هـ) بخطه.



خط أحد آل الخالدي على الكتاب السابق «رونق الألفاظ».

أبيات القاسمي
في الثناء على المكتبة الخالدية

وفي أثناء ترددي **للمكتبة الخالدية**، طلب مني أربابها الكرام أبياتاً، يأثرونها في **دفترهم** الذي يأثرون من كل قادم يتوسمون فيه الفضل؛ **فاعتذرت** بأني لست من أولئك الرِّجال، **فألحوا**، **فكتبت** على عَجل هذه الأبيات، واختلستها رغماً عن مهماتي في تلك الأوقات.

فقلت مشيراً إلى آداب الزِّيارة، والمجاورة في الحرم، وفضله[1]،

---

(1) فضائل المسجد الأقصى لا تعدُّ ولا تحصى، ولكن ـ بكل أسف ـ أورد بعض الجهلة والعوام في فضائله بعض الأحاديث الموضوعة بل والخرافات المصنوعة!!

ومن الصحيح في فضائله والصريح في مكانته:

ـ ما أخرجه أحمد (٢/ ١٧٦) وهذا لفظه، وأخرجه ابن حبان (١٦٣٣ ـ الإحسان)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٣٤)، وصححه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٤٠٨):

عن عبد الله بمن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ سليمان بن داود عليه السلام سأل الله ثلاثاً، فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون له الثالثة: فسأله حكماً يُصادف حكمه، فأعطاه الله إياه، وسأله مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فأعطاه إياه، وسأله أيُّما رجلٍ خرج من بيته لا يريد إلَّا الصَّلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم وَلَدَتْهُ أمُّه، فنحن نرجو أن يكون** =

وفضل الصخرة[1]، وتطرقت لحجرتنا التي نزلنا بها، فقلت:

أيُّها الزائر بَيت المقدس يَبتغيه بعد شقِّ الأَنْفسِ
أحمد المولى بما أَولى إذا ما بدت أعلام نُورِ القُدْسِ
وَأَقِمْ في الحرم الأَسمى على طاعة والذكر وقت الغَلَسِ
وابْتهِل لله في جُنْح الدُّجى وأَسِل دمعَك كالمبتئسِ

= الله عزَّ وجلّ قد أعطاه إيَّاه».

ـ وعن أبي هريرة، يُبلغ به النبي ﷺ: «**لا تشدُّ الرحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى**».

هذا لفظ مسلم، وقد أخرجه في كتاب الحج، باب لا تشد الرِّحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد (١٣٩٧).

وأخرجه البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكَّة والمدينة (١١٨٨).

قال النووي في «شرح مسلم» (٩/ ١٠٦): «فيه بيانُ عظيمِ فضيلةِ هذه المساجد الثلاثة ومزيتها على غيرها».

وقال ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٦٥): «لكونها مساجد الأنبياء، ولأن الأول: قبلة الناس وإليه حجهم، والثاني قبلة الأمم السالفة، والثالث أُسِّسَ على التقوى».

(١) لم يأت حديث ولا الأثر في فضل هذه الصخرة، بل قال ابن القيم رحمه الله تعالى في «المنار المنيف» (ص٨٧): «كل حديث في الصخرة فهو كذب مفترًى». وسيأتي كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيها، وقد نقله عنه القاسمي، فلهذا فإنه ليس لها أي ميزة خاصة، بل هي من صخور المسجد الأقصى وجزء منه.

وتــجــرَّد فــيــه عــن كــلِّ الــذي　　　يـظـلـم الـقـلـب كـلـهـوِ الـمـجـلـسِ
وتَــضــرَّع ثُــمَّ لا تــنــسَ نــصــيــ　　　ـبك مـن صـخـرتـه فـي الـحَـنْـدسِ
يـا لــه مــن مـوطــن طـاب بـمـعـ　　　ـراج طـه مـنـه نـحـو الأطـلـسِ
حــبــذا مَــعــبــدُ ذكــرٍ وتُــقــىً　　　لـصـفـاءِ الـقـلـب أَبـهـى مُـؤْنِـسِ
يـذهـلُ الـعـاكـف فـي هـيـكـلـه　　　عـن حـلـى ربَّـةِ ثـغـرٍ أَلْـعَـسِ
فـاكْـحِـل الـطَّـرْفَ بـمـرآه وجـا　　　فِ عُـيـونـاً كـحِّـلـت بـالـنـعـسِ
كـم بـه لـيـلاً أنـاب الأنـبـيـا　　　ونـهـاراً فـي حـيـاة الأَنـفـسِ
وكـفـى أَنْ خـيـرةَ الـخـلـق دعـي　　　لـيـلـة الإسـراء لـذاك الأَقـدسِ
كـلُّ مـن لـم يـأتـه مـن بـعـد مـا　　　لاحـت الـفـرصـة أدنـى بُـئْـسِ
يـا بـنـفـسـي حـجـرة جـانِـب مـنـ　　　ـبـره تـزهـو بـروض الـسُّـنْـدسِ
أصـلـهـا زاويـة أنـشـأهـا　　　مـلـك الـفـضـل صـلاح الـمَـقْـدسِ
صـاحـب الأُنـس دعـاهـا الـخـتـ　　　ـنـيَّـة فـي تـاريـخـه لـلـقُـدْسِ
فـاعـتـكـف فـيـهـا لـدى شُـبـاكـهـا　　　وانـتـشـق مـا فـاق نـفـحَ الـنّـرجـسِ
وإذا مـا شـئـت تُـجـوالاً فـسِـر　　　لـسـنـا مـكـتـبـةٍ واقـتـبـسِ
كُـتْـبُ آلِ الـخـالـدِي أَنْـعِـمْ بـهـا　　　مَـوْرِداً لـلـفَـضْـلِ مِـنْـهُ فـاحـتَـسِـي
مَـنْ أَتـى مـنـهـلـهـا الـعَـذْبَ يُـرى　　　مِـنـهُ بـالـي فـهـمِـه فـضـلاً كُـسِـي
هـكـذا فَـلـيـأْتَـسـي مـن كـان يَـطـ　　　ـلُـبُ مَـجـداً هـكـذا فـلـيَـأْتَـسِـي
غَـرَسـوا فـي الـقُـدس فَـخْـراً بـاهـراً　　　وَرِثـوهُ عـن كـرامِ الـمَـغْـرسِ
فَـجَـزاهُـمْ رَبُّـنـا خـيـرَ الـجَـزَا　　　مـا سَـرَى رَكْـبٌ لِأَرْضِ الـمَـقْـدِسِ

* * *

وبعد عصر يوم الأحد في ٢٧ صفر سار بنا أحد فضلاء دمشق المقيمين هناك في مأمورية إلى مقام يقال إن قبر السيدة مريم عليها السلام فيه، وهو في كنيسة تسمَّى الجسمانية، وقد روى صاحب «أنس الجليل» أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل هذه الكنيسة وصلَّى فيها، ثُمَّ ندم على ذلك[١].

المدرسة الصلاحية

وبعده سار بنا رفيقنا إلى المدرسة الصلاحية[٢] التي أُعطيت

---

(١) ذكرها صاحب «الأنس الجليل» مجير الدِّين العليمي (٢/ ٦٢) من غير إسناد. وأخرجها بإسناده إلى عمر: ابن المرجي المقدسي في «فضائل بيت المقدس» (ص٣٤٦) من طريق الوليد بن مسلم، عن سعيد بن عبد العزيز: أن عمر بن الخطاب... إلخ، وإسناده لا يصح، فيه عنعنة الوليد بن مسلم، ولم يصرح بالتحديث، كما أن سعيد بن عبد العزيز لم يدرك عمر بن الخطاب.

وقد نقد متن هذه القصة وبيَّنَ بطلانها بالبرهان القاطع الأستاذ محمد حسن شُرَّاب في كتابه «بيت المقدس دراسة تاريخية» (ص٣٤٦ ـ طبعة دار القلم بدمشق).

(٢) المدرسة الصلاحية من أشهر مدارس القدس، وهي أيضاً من أطولها عمراً؛ فقد ظلت مدرسة زهاء ستة قرون، من سنة ٥٨٨هـ حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

تقع الصلاحية داخل باب سور القدس المعروف باسم باب الأسباط، وعلى بعد قليل منه، شمال الطريق التي تعرف باسم طريق المجاهدين. وقد أسسها صلاح الدِّين الأيوبي سنة (٥٨٨هـ) في كنيسة تعرف باسم كنيسة القديسة حنة، كما سيأتي في كلام أبي شامة الذي نقله عنه القاسمي. =

للمسيحيين، وعادت كنيسة لهم، فأسفنا لذلك غاية الأسف، وأخبرنا أن ذلك جرى بسعاية مَنْ باع دينه بدنياه من وجهاء القدس، واستعان بحاكم كان على شاكلته، فتمَّ على هذه المدرسة ما تم[1].

= وهذه المدرسة الكبرى ذات مكانة علمية رفيعة؛ فقد كانت في مقدمة المعاهد العلمية في بيت المقدس ـ حرسه الله وكشف كربه ـ.
وبلغت هذه المدرسة شأواً كبيراً ومكانة سامقة في عهد مؤسسها صلاح الدِّين والقرون التي بعده، مُشاراً إليها بالبنان موئلًا للعلماء الأعلام، وكانت مشيختها لا تولَّىٰ إلَّا لكبار العلماء؛ يقول العلامة العليمي الحنبلي في «الأنس الجليل» (٢/ ٤١): «ووظيفة مشيختها من الوظائف السنية بمملكة الإسلام، بل بلغ من عظم شأنها أنه لا يتم تولية مشيختها إلَّا بمرسوم سلطاني».
وممن تولَّى مشيختها رئيس القضاة يوسف بن تميم ابن شداد، وابن الصلاح الإمام الشهير صاحب «علوم الحديث»، والحافظ صلاح الدِّين العلائي، وغيرهم.
هذا، وقد أفاض المؤرخ العليمي في «الأنس الجليل» في ذكر شيوخها والمعيدين فيها للتدريس (٢/ ١٠١ ـ ١٤٣)، وتبعه وزاد عليه الدكتور عبد الجليل حسن في كتابه «المدارس في بيت المقدس» (١/ ١٨١ ـ ٣٣٥)، وانظر أيضاً: «المفصل في تاريخ القدس» لعارف العارف (ص٢٣٦ ـ ٢٣٨)، و«معاهد العلم في بيت المقدس» للدكتور المؤرخ كامل جميل العسلي (ص٥٤ ـ ٩٥)، و«تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي» للدكتور يوسف درويش (ص٣٧، ٤٣، ١٦٦)، و«بيت المقدس» لمحمد محمد حسن شرَّاب (ص١٤٩، ١٥٠).

(١) قال الأستاذ الكبير محمد محمد شرَّاب في كتابه «بيت المقدس» (ص١٥٠): في سنة (١٢٧٣هـ ـ ١٨٥٦م)، أصدر السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ ـ ١٨٦١م) أمراً لمتصرف القدس بتسليم المدرسة الصلاحية لقنصل فرنسا، فسلِّمت له، وبنى لها سوراً وحصَّنها، وقدِّمت هدية من السلطان عبد المجيد إلى أمبراطور فرنسا نابليون الثالث، اعترافاً ـ منه زعموا ـ بجميل فرنسا =

ولقد شاهدت التاريخ الصلاحي على بابها[1]، وأرانا قيِّمها بركة داخلها، يزعمون أن السيد المسيح عليه السلام أبرأ من مائها، وأن لها ذكراً في إنجيلهم.

= لمساعدته في حرب القرم عام (١٨٥٦م) فعمرها الرهبان المسمّون بالآباء البيض وجعلوها مدرسة إكليريكية.

وفي الحرب العالمية الأولى استردَّها جمال باشا، وأقامها كليَّة علمية دينيَّة، أتى لها بالأدوات المطلوبة من ألمانيا. وبعد خروج العثمانيين من القدس أُعيدت إلى الآباء البيض وهي اليوم، مدرسة، وفيها متحف وكنيسة.

أخرجها السلطان عبد المجيد من ملكية الأوقاف الإسلامية، وقدَّمها هديَّة للأعداء، وعندما جاء الإنجليز كان عندهم علم بهذا فأرجعوها إلى مَنْ امتلكها بالهبة من السلطان، أما عمل جمال باشا، فلم يعتمد فيه على فرمان سلطاني، فكان فرمان السلطان عبد المجيد أقوى، فثبتت لهم...»، ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤].

وانظر أيضاً: «المفصل في تاريخ القدس» لعارف العارف (ص٢٣٨)، و«معاهد العلم في بيت المقدس» للعلّامة كامل العسلي (ص٥٩)، و«المدارس في بيت المقدس» (١/ ١٨٨) لعبد الجليل حسن.

(١) هذا نص ما في اللوحة التي على باب المدرسة الصلاحية:

«بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾، هذه المدرسة المباركة، وقفها مولانا الملك الناصر صلاح الدِّين والدُّنيا، سلطان الإسلام والمسلمين، أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي، محيي دولة أمير المؤمنين، أعزَّ الله أنصاره، وجمع له بين خير الدُّنيا والآخرة، على الفقهاء من أصحاب الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، سنة ٥٨٨هـ».

وقد ألحقت في الصور في آخر الكتاب صورة هذا المكتوب فليتأمل، وقد نصَّ عليه العليمي في «الأنس الجليل» (٢/ ١١٨) وغيره.

وأخبرني قيِّمها بأن هذه المدرسة كانت قبل الفتح الصلاحي كنيسة، فارتبتُ في ذلك، ثُمَّ راجعتُ كتاب «الروضتين» للإمام أبي شامة، فقرأت مصداقه، وعبارته في آخر فصل الكلام على الصخرة المقدسة ما يعلم به أصل الزَّاوية الداودية أيضاً، قال: «وأما محراب داود عليه السلام خارج المسجد الأقصى، فإنه في حِصْنٍ عند باب المدينة منيع، وموضعٍ عالٍ رفيع، وهو الحصن الذي يقيم به الوالي، فرتَّب السلطانُ له إماماً، ومؤذِّنين وقُوَّاماً، وهو مثابة الصَّالحين، ومزار الغادين والرَّائحين، فأحياه وجَدَّده، ونهج لقاصديه جَدَده، وكان موضع هذه القلعة دار داود وسليمان عليهما السلام، وكان ينتابهما فيهما الأنام. وكان الملك العادل ـ يعني صلاح الدِّين ـ نازلاً في كنيسة صهيون، وأجناده على بابها مخيِّمون. وفاوض السلطان جلساءَه من العلماء والأكابر الأبرار، والأتقياء الأخيار، في أن يبني مدرسة للفقهاء الشَّافعية، ورباطاً للصُّلحاء الصوفيَّة، فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصندحَنَّة، عند باب أسباط، وعين دار البطرك ـ وهي بقرب كنيسة ـ قُمامة للرباط، ووقف عليهما وقوفاً، وأسدى بذلك إلى الطائفتين معروفاً، وارتاد أيضاً مدارس للطوائف، ليضيفها إلى ما أولاه من العوارف»[1].

---

(١) «الروضتين في أخبار الدولتين» لأبي شامة (٣/ ٤٠٠ ـ طبعة مؤسسة الرسالة بتحقيق صديقنا الأديب العالم إبراهيم الزيبق) وهو كلام العماد الكاتب في «الفتح القُسِّي في الفتح القدسي» (ص١٤٥).

ثُمَّ في صباح الإثنين ٢٨ صفر ذهب بي أحد الأحباب المقدسيين إلى طور زيتا[١]، فصعدت إليه، وأراني غالب مزاراته، ومنها مصعد السيد عيسى عليه السلام، على ما يروونه، وهو صخرة فيها أثر قدم داخل قبة، وجلسنا في الزاوية العلمية في جواره طلباً للراحة، وقدمت كؤوس المرطبات، ثُمَّ انحدرنا منه.

وبعد عصر ذاك اليوم سار بنا رفيقنا المذكور إلى كنيسة القيامة الشهيرة، فتقدَّمَنا أحد بوابيها المسلمين، وأرانا جهاتها العلوية والسفلية، موضعاً موضعاً.

ثُمَّ انعطف بنا رفيقنا إلى الخانقاه الصلاحية[٢]، وصعدنا إليها، واحتفل بنا قيِّمها، وجلسنا ثمة برهة، وأرانا غرفها وطباقها العلوية.

---

(١) ويطلق عليه أيضاً اسم جبل الزيتون، يقع شرقي القدس، وهو أعلى منها بـ(١٩٧) قدماً، تاريخه متصل كل الاتصال بتاريخ المدينة، فهو منه الناحية الاستراتيجية بمثابة الروح من الجسد. «المفصل في تاريخ القدس» لعارف العارف (ص٤٣٩).

(٢) قال المؤرخ محمد أحمد دهمان الدِّمشقي في «معجم الألفاظ التاريخية» (ص٦٦) شارحاً لكلمة الخانقاه: «كلمة فارسية تعني محلًّا للتعبُّد والتزهد والبعد عن الناس».
وأما بخصوص الخانقاه الصلاحية فتقع بالقرب من كنيسة القيامة، وتحيط بها من الشمال والغرب، فبعضها راكب على ظهر الكنيسة.
وهذه الخانقاه كانت منزلًا لبطارقة الروم، وداراً للقسس. وقد أخذها منهم الصليبيون. ولما حرَّر صلاح الدِّين القدس أرجع المنزل والدار لأصحابها،

ثُمَّ في صباح الثلاثاء ذهب بنا رفيقنا المذكور إلى نواحي البلدة، وأرانا غرائب أماكنها، ومنها دار مطبعة للَّاتين مهمة جدًّا، مشتملة على دار حدادة ونجارة وطحن بأدواتها، ويديرها وابور بخاري. فاحتفل بنا قيِّموها، وأهداني مصحح مطبعتها كتاب شذور الإبريز، مختصر التوراة، مطبوع في المكان نفسه[1].

ورضي الروم أن يقتطع صلاح الدِّين جانباً من منزل البطارقة والقسس، فنزل فيه مدة إقامته بالقدس، ثُمَّ جعله رباطاً للعلماء.

وقد أضيف إليها جامع في العصر المملوكي، وهناك نقش يدل على ذلك، ونصه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ١٨]، أشار بإنشاء هذا المحراب، وعمارة المجمع المبارك: الفقير عيسى بن أحمد العلم، عفا الله عنه، ورحم سلفه، في أيام مولانا السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، عزّ نصره، في شعبان سنة ٧٤١هـ».

وكانت الخانقاه الصلاحية مستقرًّا للفقهاء الذين كانوا يشتغلون بالعلم في المدرسة الصلاحية.

وفي وقفية المدرسة الصلاحية المذكورة سابقاً إشارة إلى هذه الخانقاة. انظر: «معاهد العلم» للعسلي (ص٣٣٠ ـ ٣٣٨)، و«المدارس في بيت المقدس» (١/ ٤٠٤).

(١) هذه المطبعة اسمها مطبعة الآباء الفرنسيسكان، وقد أسَّسها الرهبان لنشر تعاليمهم، وطبع في هذه المطبعة نحواً من (١٠٣)، وكان تأسيسها سنة (١٨٤٧م). وقد أشار إلى تفاصيل ما ذكره القاسمي عنها خليل صابات في «تاريخ الطباعة في الشرق» (ص٣٠١)، وانظر أيضاً: «أعلام فلسطينية» لمحمد حماده (٢/ ١١١، ١١٢).

هذا وفي كل ذلك ننقلب إلى حجرتنا في الأقصى بسرعة، بحيث لم تفتنا بحمده تعالى في مدة إقامتنا الصلاة أول الوقت فيه، إلَّا ما كان وقت المغرب أحياناً، لوجودنا في دعوة بعض المحبين.

ثُمَّ في يوم الثلاثاء المذكور زارنا قُبيل العصر في حجرتنا أحد وجهاء القدس، وَغِبَّ أداء العصر نادى بمن يأتي بمفتاح الأقصى التحتاني، المنحدر في درج أمام أبواب المسجد، فدخلنا وصلَّينا فيه ركعتين تحيَّة المسجد، ثُمَّ انقلب بنا إلى محل البُراق غربي المسجد، فانحدرنا في درج إليه، إلى موضع الحلقة[١]، وصلَّينا ركعتين تحية المسجد أيضاً.

ثُمَّ ذهب بنا من باب المسجد، المعروف بباب المغاربة[٢]، في

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» (١/ ١٤٥ ـ طبعة محمد فؤاد عبد الباقي) من حديث أنس الطويل في ذكر إسراء النبي ﷺ إلى بيت المقدس، قال: «أُتيتُ بالبُراق، فركبتُه حتى أتيتُ بيت المقدس، فربطتُهُ بالحلقةِ التي يَربطُ به الأنبياء، ثُمَّ دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين».
وقد حوَّل اليهود ـ عليهم من الله ما يستحقون ـ تسمية هذا الحائط باسم حائط المبكى كذباً وزوراً. انظر رسالة «حائط البراق موجز تاريخي موثق» إعداد جهاد جميل العايش، من إصدارات مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية.

(٢) قال العليمي في «الأنس الجليل» (٢/ ٣١): «وسُمي بذلك؛ لمجاورته لباب جامع المغاربة الذي تقام فيه الصلاة الأولى؛ ولأنه ينتهي إلى حارة المغاربة، وهذا الباب في أواخر الجهة الغربية من المسجد مما يلي القبلة»، وانظر أيضاً: «كنوز القدس» (ص١٧٨).

أواخر الجهة الغربية من صحن المسجد، وقد ذكر صاحب «أنس الجليل» أنَّ موقِّتي الحرم ذهبوا إلى أنَّ هذا الباب هو الذي دخل منه النبي ﷺ ليلة الإسراء.

ثُمَّ تجوَّلنا خارج السُّور، وأشرفنا على عين سلوان[1]، وتلك المناظر المباركة، وكنا في دعوة أحد الصُّلحاء ليلتئذ.

بدء الرحلة إلى بلد الخليل

ثُمَّ صباح الأربعاء سَلْخ صفر، عقدنا النيَّة على المسير إلى بلدة الخليل عليه السلام، وبينما نحن في التهييء لاستئجار عربة، وإذا بأحد محبينا التجار قادم لزيارتنا، وقد هيَّأ لنا عربة تنتظرنا، فحمدنا المولى على هذا التيسير، وسرنا في الحال من حجرتنا في الأقصى، وركبنا العربة من باب العمود[2] قُبيل الظهر، ولا زلنا حتى وصلنا بيت لحم[3]، فدخلنا للمكان المشهور بولادة السيد عيسى عليه الصلاة

---

(١) قال العليمي في «الأنس الجليل» (٢/ ٥٧): «عين سلوان بظاهر القدس من جهة القبلة بالوادي، يشرف عليها سور المسجد القبلي»، وقد نُسج حول هذه العين بعض الخرافات والأحاديث الموضوعات.

(٢) ويُسمى باب دمشق، وباب النصر، وهو باب رئيسي من أبواب القدس ـ حماها الله ـ، وقد أُعيد بناؤه سنة (٩٤٤هـ) في عهد سليمان القانوني في العصر العثماني. انظر: «المفصل في تاريخ القدس» لعارف العارف (ص٤٣٢، ٤٣٣)، و«كنوز القدس» (ص٣٤٤).

(٣) بلد قرب بيت المقدس، تقع على بعد (١٠) كيلومتر جنوبي مدينة القدس. انظر: «معجم البلدان» (١/ ٤١٠)، و«معجم أسماء المدن والقرى» لحسين لوباني (ص٤١).

والسلام فيه، وأرانا قيِّمه محلّ الولادة، والنخلة، وما جاورهما، وتجوَّلنا في أنحاء ذاك المكان. وأَحببت أن أُصلِّي ركعتين عند محل الولادة، اتباعاً لما ورد في قصة المعراج[1]، إلَّا أني رأيت المكان مملوءاً من الصور والتماثيل، فتجافيت عنه، وصلَّيت ركعتين خارج هذا الموضع، بين الأعمدة الكبيرة، عند مدخل ذلك المكان، لشبهها بقطعة من مسجده، إذ لا تمثال فيها ولا صورة، ويصدق عليها أنها محل الولادة.

وقد روى عبد الرزَّاق في «مصنفه»[2] عن ابن عباس أنه كان يكره أن يصلِّي في الكنيسة إذا كان فيها تماثيل، رواه[3] السيوطي في «الجامع الكبير».

---

(١) يشير العلامة القاسمي إلى ما أخرجه النسائي (١/ ٢٢١)، وابن المرجى المقدسي في «فضائل بيت المقدس» (ص٣٤٣، ٣٤٤)، عن أنس مرفوعاً: «أُتيتُ بدابة فوق الحمار ودون البغل. . .» إلى أن قال: «انزِل فصَلِّ، فنزلتُ فصلَّيتُ» فقال: أتدري أين صلَّيْتَ؟ صَلَّيْتَ ببيتِ لَحْمٍ حيثُ وُلِدَ عيسى»، وهذا حديث إسناده ضعيف، قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٣٨٤): «وفيها ـ يعني طريقه ـ غرابة ونكارة جداً»، وكذا حكم عليه الزركشي في «إعلام الساجد» (ص٢٩٨).

(٢) برقم (١٦٠٨)، وأخرجه تعليقاً مجزوماً به البخاري (١/ ٥٣١ ـ فتح الباري)، ووصله أبو القاسم البغوي في «جمعه لحديث عبيد الله العيشي» كما في «تغليق التعليق» لابن حجر (٢/ ٢٣٣)، وكذا وصله في «الجعديات» له برقم (٢٤٤٤).

(٣) لو قال: أورده السيوطي لكانت العبارة أصح، فإنه لا يروي في هذا الكتاب بأسانيده.

ثُمَّ خرجنا إلى جامع البلد، فصلَّينا الظهر جماعة، واشترينا من بعض التجار ثمَّة بعض قطع صدفيَّة، **أعددناها هدية للأولاد والعيال**، وقد انفردت هذه القرية بدقة الصنعة في التفنن بالقطع الصدفية، بما يدهش الألباب، ثُمَّ سرنا متوكِّلين عليه تعالى في ذاك الطريق البهيج، وقد راقني منه وادي بيت جالا[1]، المملوء بشجر الزيتون، ووقفنا في بعض المحلات لإراحة الدواب، ومنها: لدى عيون عذبة، كعين عروب، وعندها صلَّينا العصر، ثُمَّ عين الدروة، وأبصرنا في الطريق البركة التي فيها نبْع ماءٍ يساق للحرم الأقصى الشريف، وقرية حلحول[2] التي يقال إن بها قبر سيدنا يونس بن متى.

ثُمَّ تبدَّت لنا أعلام مدينة الخليل[3] عليه السلام قرب المغرب،

---

(١) تبعد (٢) كم إلى الشمال الغربي من مدينة بيت لحم. «معجم المدن والقرى الفلسطينية» لحسين لوباني (ص٣٢)، وقال بعذ هذا: «وتعتبر من أجمل مواقع الاصطياف في فلسطين» وهذا مصداق ثناء القاسمي عليها؛ فإنه صاحب ذوق يحسن التعبير فيما يراه.

(٢) قرية حَلْحُوْل تقع على بعد (٥) كم إلى الشمال من مدينة الخليل، وأحسن القاسمي القول حينما قال: يقال إن بها قبر يونس عليه السلام ـ بصيغة التضعيف ـ؛ فإن هذا باب تكثر فيه الترهات والخرافات. وانظر للتعريف بقرية حلحول: «معجم أسماء المدن والقرى الفلسطينية» لحسين لوباني (ص٤٧).

(٣) تقع مدينة الخليل جنوبيّ القدس بحوالي (٣٥) كم. انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ٧٦)، و«معجم أسماء المدن والقرى» (ص٥٩).

فسرنا توًّا إلى الجامع الشريف[1]، ودخلنا رباطاً في جواره، توضَّأْنا فيه.

ثُمَّ دخلنا الجامع، وغِبَّ صلاة المغرب والنافلة جاءنا أحد الطلبة فيه وسلَّم علينا، وجال بنا في أنحائه، لزيارة تلك المقامات الجليلة، ثُمَّ بعد زيارة الجميع عليهم الصلاة والسلام[2]، استندنا إلى المنبر، فتحلَّق لدينا من أهالي المسجد ثلَّة، وسألني بعض الطلبة هناك عن بعض مسائل، وغِبَّ الجواب طلب مني قراءة درس في الصباح فاعتذرت بأنا على جناح السَّفر، ومقامنا قليل.

---

(١) لم يرد في فضل هذا الجامع ذكرٌ أو تسميته بالشريف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» له (٢٧/ ١٦٠): «وما يرويه بعض الناس أنه ﷺ صلَّى بمسجد الخليل أو صلَّى عند قبر الخليل؛ فإن هذا الحديث غير ثابت عند أهل العلم».

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلام له نفيس في الكلام على القبور المنسوبة للأنبياء والصلاة عندها: «وكذلك قبر إبراهيم الخليل لما فتح المسلمون البلاد كان عليه السور السليماني، ولا يدخل إليه أحد، ولا يصلي أحد عنده، بل كان مصلى المسلمين بقرية الخليل بمسجد هناك، وكان الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، إلى أن نقب ذلك السور، ثم جعل فيه باب. ويقال: إن النصارى هم نقبوه وجعلوه كنيسة، ثم لما أخذ المسلمون منهم البلاد جعل ذلك مسجداً؛ ولهذا كان العلماء الصالحون من المسلمين لا يصلون في ذلك المكان. هذا إذا كان القبر صحيحاً، **فكيف وعامة القبور المنسوبة إلى الأنبياء كذب؟!** مثل القبر الذي يقال إنه قبر نوح فإنه كذب لا ريب فيه، وإنما أظهره الجهال من مدة قريبة، وكذلك قبر غيره». «مجموع الفتاوى» له (٢٧/ ١٤١).

وَغِبَّ أداء العشاء سار بنا إمام الحرم الحنفي وخطيبه، وأنزلنا في داره ظاهر البلدة، على غاية من الرفاهية، فحمدنا الباري تعالى على ما ألهم.

العودة إلى بيت المقدس

وصباح الخميس دعينا لتناول الغداء عند أحد الوجهاء ثمة، ثُمَّ أعدنا الكرَّة إلى الجامع الشريف، وصلَّينا الظهر هناك، وبعده اجتمعنا بقاضي البلدة فيه، فرحَّب ودعانا لطول المقام فاعتذرت بأن رفقتنا في نيَّتها بعد الغداء العود إلى البيت المُقَدَّس، فألحَّ هو ومن نزلنا عنده إلحاحاً زائداً، فأَبَيْنا.

وفي نحو الساعة السابعة من النهار ودَّعنا الأحباب، وركبنا العَجَلة، وسرنا على بركة الله تعالى، ووافينا بيت المقدس بعد الغروب، وصلَّينا المغرب في الأقصى الشريف. وفي تلك الليلة رأيت كأني في قصر عال صعدت إليه مع بعض فضلاء دمشق، فلمَّا جلسنا فيه أبصرتُ فرشاً عديدة، فرام بعض إخواننا أن يفرش لنا على بعض شرفات ذلك القصر، فقال له ذلك الفاضل ما معناه: حسبك يا أخي، فما فوق منزلكم إلَّا منزل السلطان! واتفق أن رأى تلك الليلة أيضاً بعض رفقائنا قائلاً يقول لنا: تقبَّل الله زيارتكم، فرجونا أن تكون هذه الرؤيا من المبشرات.

هذا ولمَّا كان مقصدي تقييد زمن هذه الرحلة في هذا الدفتر، لتكون تذكاراً لي ولمن يتشوَّف إلى وقتها من أهلي، اقتصرت على هذه الكلمات، وأضربت صفحاً عن تاريخ البلاد التي مررت عليها، وذكر

جغرافيتها، وحالها قديماً وحديثاً، خشية الطول، والخروج عن الموضوع.

ومن أراد الوقوف على شأن البيت المقدس، فعليه بـ«أنس الجليل»، وكتاب «الرَّوضتين» لأبي شامة فإنه تطرَّق لكثيرٍ من مهمات آثاره، لا سيما من نثر مثل القاضي الفاضل[1]، والعماد[2]، كاتبَي الحضرة الصلاحية، وكنت أراجع لجغرافية ما مررنا عليه من الجبال والبلاد والقرى كتاب «الجغرافية العمومية»، وكتاب «تاريخ المملكة السورية»، وكتاب «دليل الزوَّار»، ففيها من تحقيق الكتابين لبعض شؤون ذلك ما يزداد به إحاطة. ولسهولة الوقوف على هذه الكتب بواسطة طبعها وانتشارها، اكتفينا بالإحالة عليها.

---

(١) هو القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي، قال ابن خلكان: «وُزِّر للسلطان الملك الناصر صلاح الدِّين، برز في صناعة الإنشاء وفاق المتقدمين» توفي سنة (٦٤٣هـ). «وفيات الأعيان» له (٣/ ١٥٨ ـ ١٦٣).

(٢) هو العماد محمد بن محمد المعروف بالعماد، الكاتب الأصبهاني، أحد العلماء والوكلاء لصلاح الدِّين الأيوبي وصاحب الكتاب المشهور «خريدة القصر» وهو أحد كتَّاب الإنشاء لصلاح الدِّين ومؤلف الكتاب المسمى بـ«الفتح القُسِّي في الفَتْح القُدسي» يشير بذلك إلى أنه في فصاحته كأنه من خطب وكلام قُس بن ساعدة الإيادي الخطيب الجاهلي المشهور، توفي سنة (٥٩٧هـ). انظر ترجمته في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (١٩/ ١١ ـ ٢٨).

فـائـدة

رُبَّ متفقِّهٍ قُحٍّ يعترض علينا في دخولنا الكنائس التي مرَّ ذكرها، مقلِّداً في ذلك لبعض الناعقين، فنقول له: كان الأجدر بنا أن نقف مع قاعدة الإمام الغزالي التي قرَّرها في أوَّل «فيصل التفرقة»[1]، من أنَّ حق المقلِّد أن يسكت، ويُسكت عنه. ولكن نتنزَّل معه إفادة للقاصرين أمثاله، ونورد له من أدلَّة الجواز ما تلقمه حَجَراً فنقول:

روى الإمام أحمد في «مسنده»، عن ابن مسعود، قال: إنَّ الله عزَّ وجل ابتعث نبيّه لإدخال رجل إلى الجَنَّة، فَدَخَلَ الكنيسَةَ، فإذا بيهُودَ، وإذا يهوديٌّ يَقْرَأُ عليهم التَّورَاة... الحديث[2].

وقال ابن القيم في «إغاثة اللهفان»[3]، في بيان بعض هديه ﷺ ما نصه: «ومن ذلك أن النبي ﷺ كان يجيب من دعاه فيأكل من طعامه، وأضافه يهودي بخبز شعير وإهالة سَنِخة[4]. وكان المسلمون

---

(١) (ص٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤١٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٧٢، ٢٧٣)، وإسناده ضعيف؛ لانقطاعه؛ فإن الراوي عن ابن مسعود هو ابنه أبو عبيدة وهو لم يسمع من والده.

(٣) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (١/ ٢٤٨ ـ طبعة المكتب الإسلامي).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢١٠، ٢١١، ٢٧٠) من حديث أنس بإسنادٍ صحيح.

وقوله: «إهالة سنخة» قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٨٤): «كل شيء من الأَدْهان مما يُؤتدم به إهالةٌ، وقيل: هو ما أُذيب من الأَلْية والشحم، وقيل: الدسم الجامد. والسَّنِخة: المتغيرة الريح».

يأكلون من أطعمة أهل الكتاب، وشرط عمر رضي الله عنه ضيافة من مرَّ بهم من المسلمين، وقال: أطعموهم مما تأكلون[1]. وقد أحل الله عزَّ وجلّ ذلك في كتابه. ولما قدم عمر رضي الله عنه الشام، صنع له أهل الكتاب طعاماً، فدعوه، فقال: أين هو؟ قالوا: في الكنيسة، فكره دخولها، وقال لعلي رضي الله عنه: اذهب بالناس، فذهب علي بالمسلمين، فدخلوا وأكلوا، وجعل علي رضي الله عنه ينظر إلى الصورة وقال: ما على أمير المؤمنين لو دخل وأكل[2]؟» انتهى كلام ابن القيم.

نعم! كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يكره دخول الكنائس في أعيادهم، أو إذا رأى في ذلك تعززاً لهم، فقد روى عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، والبيهقي، عن أسلم، قال: لما قدم عمر الشام أتاه رجل من الدهاقين فقال: إني صنعت لك طعاماً فأحب أن تجيء، فيرى أهل عملي كرامتي عليك، ومنزلتي عندك، فقال: إنا لا ندخل الكنائس التي فيها هذه الصور[3].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق موصولاً في «المصنف» (١٠٠٩٥) بإسناد صحيح، والبخاري تعليقاً مجزوماً به (١/ ٥٣١ ـ فتح الباري).

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (حرف الطاء في آباء من اسمه علي ـ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق) (ص٨).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٦١٠ ـ ١٦١١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٧٠٦، ٣٤٥٣٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٦٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» الجزء السابق ذكره (ص٩). =

وروى عبد الرزاق والبيهقي أيضاً عن عمر أنه قال: إياكم ورطانة الأعاجم، وأن تدخلوا في بيعهم يوم عيدهم، فإن السخط ينزل عليهم[1].

تنبيه مهم في الآداب الشرعية
المرعية في المسجد الأقصى وفي آثاره المشهورة

وقفت لشيخ الإسلام تقي الدِّين ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان على رسالة بديعة في زيارة بيت المقدس[2] أحببت أن آتي على ما يهم الزائرين موضوعها:

= ومما يناسب حول هذا المقام في دخول الكنائس ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ـ كما في «مجموع الفتاوي» (٢٧/ ١٤) له وهو ضمن الرسالة التي سينقل عنها بعد قليل القاسمي ـ: «وأما إذا دخلها الإنسان لحاجة وعرضت له الصلاة فيها فللعلماء فيها ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره، قيل: تكره الصلاة فيها مطلقاً، واختاره ابن عقيل، وهو منقول عن مالك. وقيل: تباح مطلقاً. وقيل: إن كان فيها صور نهي عن الصلاة وإلَّا فلا، وهذا منصوص عن أحمد وغيره، وهو مروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره، فإن النبي ﷺ قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة». ولما فتح النبي ﷺ مكة كان في الكعبة تماثيل فلم يدخل الكعبة حتى محيت تلك الصور، والله أعلم».

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٦٠٩)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٢٣٤).

(٢) طبعت هذه الرسالة ضمن «مجموعة الرسائل الكبرى» لشيخ الإسلام ابن تيمية بعنوان «رسالة في زيارة بيت المقدس» (٢/ ٥٧ ـ ٦٧)، ومن اللطيف أن الذي نسخ مجموع هذه الرسائل وأرسلت لتطبع عن نسخته في مصر هو علامتنا القاسمي رحمه الله، كما أن هذه الرسالة طبعت أيضاً في مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٧/ ٥ ـ ١٩).

ذكر رحمه الله: أنه ثبت في «الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا تشد الرحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا»**.

وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد[1] وأبي هريرة، وقد روي من طُرق أُخرى.

وهو حديث مستفيض متلقى بالقبول، أجمع أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول.

واتفق علماء المسلمين على استحباب السفر إلى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه: كالصلاة، والدعاء، والذكر، وقراءة القرآن، والاعتكاف.

وقد رُوي من حديث رواه الحاكم في «صحيحه»[2]: «أن سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثاً: ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وسأله حكماً يوافق حكمه، وسأله أنه لا يؤم أحد هذا البيت لا يريد إلَّا الصلاة فيه إلَّا غفر له» ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنه يأتي إليه فيصلي فيه ولا يشرب فيه ماء؛ لتصيبه دعوة سليمان، لقوله: «لا يُريد إلَّا الصلاة فيه» فإن هذا يقتضي إخلاص النيَّة في السفر إليه، ولا يأتيه لغرض دنيوي ولا بدعة.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨٨)، ومسلم (٢/٩٧٦)، وأما حديث أبي هريرة فقد سبق سياقه وتخريجه.

(٢) إطلاق الصحيح على «المستدرك» للحاكم فيه نوع من التسامح، وقد تقدَّم تخريج الحديث (ص٧٣).

ثُمَّ قال رحمه الله: وقد روي أن الصلاة في المسجد الأقصى بخمسين صلاة، وقيل: بخمسمائة وهو أشبه[1].

ثُمَّ قال رحمه الله: والعبادات المشروعة في المسجد الأقصى هي جنس العبادات المشروعة في مسجد النبي ﷺ وغيره من سائر المساجد إلَّا المسجد الحرام، فإنه يشرع فيه زيادة على سائر المساجد إلَّا المسجد الحرام؛ فإنه يشرع فيه زيادة على سائر المساجد: الطواف بالكعبة، واستلام الركنين اليمانيين، وتقبيل الحجر الأسود.

وأما مسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى وسائر المساجد فليس فيها ما يطاف به، ولا فيها ما يتمسح به، ولا ما يقبل؛ فلا يجوز لأحد أن يطوف بحجرة النبي ﷺ، ولا بغير ذلك من مقابر الأنبياء والصالحين، ولا بصخرة بيت المقدس، ولا بغيرها كما يطاف بالكعبة.

ثُمَّ قال رحمه الله: إن المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام.

---

(١) الحديث الذي فيه أن النص على أنَّ الصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة، أخرجه البزار (٤٢٢)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٢٣٤)، وإسناده ضعيف؛ فيه سعيد بن بشير الأزدي ضعيف الحديث، ولكن الحديث الصحيح في المضاعفة في الصلاة في المسجد الأقصى هو ما أخرجه الحاكم (٤/ ٥٠٩) بإسناد صحيح من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المُصلَّى هو» فدلَّ على أنَّ الصلاة تضاعف في المسجد الأقصى بـ(٢٥٠) صلاة.

وقد صار بعض الناس يُسمي الأقصى المصلَّى الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مَقْدِمِه، والصلاة في هذا المصلَّى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد؛ فإن عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس وكان على الصخرة زبالة عظيمة؛ لأن النصارى كانوا يقصدون إهانتها مقابلة لليهود الذين يُصلون إليها، فأمر عمر رضي الله عنه بإزالة النجاسة عنها، وقال لكعب الأحبار: أين ترى أن نبني مصلَّى المسلمين؟ فقال: خلف الصخرة، فقال: «يا ابن اليهودية! خالطتك يهودية، بل أبنيه أمامها»(1)؛ فإن لنا صدور المساجد، ولهذا كان أئمة الأمة إذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة في المصلَّى الذي بناه عمر.

وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه صلَّى في محراب داود.

وأما الصخرة فلم يصلِّ عندها عمر رضي الله عنه، ولا الصحابة، ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، ويزيد ومروان؛ ولكن لما تولى ابنه عبد الملك الشام، ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة، كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير، فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة، وكساها في الشتاء

---

(1) أخرجه بنحوه أحمد في «المسند» (1/38)، وجوَّد إسناده الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (7/78)، وأخرجه أيضاً أبو عبيد القاسم بن سلام في «الأموال» (430) من طريق أخرى.

والصيف، ليرغب الناس في زيارة بين المقدس ويشتغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير.

وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فإنها قبلة منسوخة، كما أن يوم السبت كان عيداً في شريعة موسى عليه السلام ثُمَّ نسخ في شريعة محمد ﷺ بيوم الجمعة، فليس للمسلمين أن يخصوا يوم السبت ويوم الأحد بعبادة كما تفعل اليهود والنصارى، وكذلك الصخرة إنما يعظمها اليهود وبعض النصارى.

وأما ما يذكره بعض الجهال فيها من أن هناك أثر قدم النبي ﷺ وسلم، وأثر عمامته، وغير ذلك: فكله كذب، وكذلك المكان الذي يذكر أنه مهد عيسى عليه السلام كذب، وإنما كان موضع معمودية النصارى، وكذا من زعم أن هناك الصراط والميزان، أو أن السور الذي يضرب به بين الجنة والنار هو ذلك الحائط المبني شرقي المسجد، وكذلك تعظيم السلسلة، أو موضعها ليس مشروعاً.

ثُمَّ قال رحمه الله: وليس في بيت المقدس مكان يقصد للعبادة سوى المسجد الأقصى.

ثُمَّ قال رحمه الله: وأما زيارة معابد الكفار مثل الموضع المسمى بالقمامة أو بيت لحم أو صهيون أو غير ذلك؛ مثل كنائس النصارى فمنهي عنها، فمن زار مكاناً من هذه الأمكنة معتقداً أن زيارته مستحبة، والعبادة فيه أفضل من العبادة في بيته: فهو ضال، خارج عن شريعة الإسلام، يستتاب فإن تاب وإلَّا قتل. انتهى.

أقول قوله[1]: فمنهي عنها أخذه، مما روي عن عمر كما قدمنا وفيه ما فصَّلنا؛ ومعلوم **أن المسلم لا يعتقد زيارة هذه الأمكنة قربة فضلًا عن أفضلية العبادة فيها**، وغالب من يقصدها إنما يقصدون الفُرجة عليها، **وأما من زارها معتقداً ما ذكره فحكمه ما قرره، ولا إخال مُسلماً يعتقد ذلك.**

وأما بيت لحم فمن صلَّى فيه وابتعد عن تماثيله تأسِّياً بما رُوي من صلاته ﷺ فيه ليلة الإسراء بأمر جبريل على ما رواه النسائي والبزار والطبراني والبيهقي وصححه[2]، فهذا لا بأس به، بل لو قيل باستحبابه لم يُبعد، **ونحن أُسراء الأخبار لا نتقدم بين يديها.**

ثم قال: وأما زيارة بيت المقدس فمشروعة، ولكن لا ينبغي أن يؤتى في الأوقات التي يقصدها الضُّلال، وينبغي أن لا يتشبه بهم ويكثِّر سوادهم. انتهى ملخصاً.

* * *

---

(١) القائل هو العلَّامة القاسمي رحمه الله تعالى.

(٢) تقدَّم تخريجه وبيان أنه ضعيف (ص٨٤).

عوداً على بدء

العودة من بيت المقدس والمرور بيافا

ثُمَّ في صباح السبت ٣ ربيع الأول عزمنا على مبارحة البيت المقدس، فقدم لوداعنا يومه وقبله لفيف ممن صادقنا هناك.

وبعد ارتفاع الشمس ودَّعنا حرم الأقصى بركعتي السفر، ثُمَّ صلينا ركعتين أيضاً في محراب داود عليه السلام(١)، في صحن المسجد الشرقي، ثم ركعتين(٢) يمين الصخرة، وابتهلنا إلى المولى في

---

(١) قال العليمي في «الأنس الجليل» (٢/ ١٤): «وبظاهر الجامع في صحن المسجد من جهة الشرق في السور القبلي محراب كبير، هو المشهور عند الناس أنه محراب داود».

(٢) لم يأت نص على الصلاة بجانب الصخرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٨٠٩): «لم يصلِّ عمر ولا المسلمون عند الصخرة، ولا تمسحوا بها، ولا قبّلوها، وقد ثبت أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كان إذا أتى بيت المقدس دخل إليه، وصلَّى فيه، ولا يقرب الصخرة ولا يأتيها، ولا يقرب شيئاً من تلك البقاع، وكذلك نقل عن غير واحد من السلف المعتبرين: كعمر بن عبد العزيز، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وغيرهم. **وذلك أن سائر بقاع المسجد لا مزية لبعضها على بعض**». وكذا نصَّ على مثله الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١٨).

دعوات جمة، ومنها أن يغفر لنا ما فرَّطنا من التقصير في مقام هذا المسجد الجليل، ثُمَّ خرجنا من روض ذلك الحرم الشريف، **ونحن نكفكف الدمع وينهمل:**

ولـمَّـا قـضـى الـتـوديـع فـيـنـا قـضـاءه   خرجتُ ولكن لا تسل كيف مخرجي

ثُمَّ سرنا إلى محطة الوابور بعربة ركبناها من باب الخليل[1]، فألفينا هناك جمعاً من صلحاء الحرم، وأخيار القدس، وفدوا لوداعنا أيضاً، فشكرنا سعيهم.

ثُمَّ تحرك الوابور ضحوة النهار المذكور، وجاب في بطاح جميلة المنظر، حتى وصل يافا[2] قُبيل الظهر.

وصادفنا في الوابور أحد فقهاء قرية اللِّدِّ[3] قد ركب منها قاصداً

---

(١) قال مؤلفو كتاب «كنوز القدس» (ص٣٥٤): «جُدِّد هذا الباب في سنة ٩٤٥هـ في عهد السلطان سليمان القانوني. ويتكون هذا الباب من مدخل، وعقد حجري كبير مدبب، وبينهما نقش كتابي حجري تذكاري، يبين اسم السلطان وألقابه، وسنة البناء. ويغطي فتحة المدخل مصراعان كبيران من الخشب المصفَّح بالنحاس. ويؤدي المدخل إلى دكارة يغطيها قبو مروحي، ثم يؤدي إلى ممر ينعطف إلى جهة اليسار، ثم ينعطف إلى جهة اليمين، حيث ينفذ إلى داخل القدس».

(٢) يافا: تقع على ساحل البحر المتوسط وهي إلى الشمال الغربي من مدينة القدس، وتبعد عنها حوالي (٦٠) كم «معجم أسماء المدن والقرى الفلسطينية» (ص٢٨١).

(٣) تقع اللِّدُّ على بُعد (٢١) كم إلى الجنوب الشرقي لمدينة يافا. المصدر السابق (ص٢٤٢).

يافا أيضاً، فترافقنا، ونزلنا جميعاً في دار مفتي يافا، العلَّامة المفضال، والشاعر البليغ، السيد الشيخ علي أفندي أبي المواهب، ابن الأستاذ الكبير الشهير الذكر، الشيخ حسين الدَّجاني[1]، فأجلَّ

---

(١) أسرة آل الدَّجاني في يافا من بيوتات العلم التي توارثته كابراً عن كابر، وبقي الإفتاء في هذه العائلة سنوات طويلة، وكانت عندهم خزانة كتب نفيسة قال عنها فيليب دي طرازي في «خزائن الكتب في الخافقين» (١/ ٢٩٥): «لا نعرف من خزائن الكتب في يافا أهم من خزانة آل الدجاني وما برحت هذه الخزانة منذ أواسط القرن الثالث عشر للهجرة منهلًا للورَّاد وكعبة للقصاد».

وأما علي الدجاني هذا «فهو أبو المواهب علي بن حسين بن سليم الدَّجاني، فقيه أزهري، تولى الإفتاء في يافا بعد والده، وكان أحد أعيان يافا ومن علمائها البارزين في أواخر العهد العثماني. وُلد في يافا، ودرس العربية وعلوم الدِّين على والده الشيخ حسين الدجاني، ثُمَّ التحق بالجامع الأزهر، وعُرف بتفوقه فيه. آلت إليه وظيفة الإفتاء في يافا بعد وفاة أخيه الأكبر رشيد، الذي ورث الوظيفة عن والده. وذاع صيته في الإفتاء حتى جاءته المسائل من مختلف البلاد. وقد نزل عنده الشيخ محمد عبده سنة ١٢٩٩هـ ـ ١٨٨٢م وهو في طريقه إلى منفاه في بيروت، بعد ثورة عُرابي. كما نزل عنده الشيخ عبد الله النديم الذي نفي إلى يافا سنة ١٨٩٢م، وبقي فيها عاماً كاملًا. وبالإضافة إلى الإفتاء، اشتغل بالتدريس. وكان ممن تتلمذ عليه الشيخ رشيد الطيبي، قاضي يافا والقدس، والشيخ توفيق الدجاني، الذي انتخب مفتياً ليافا بعد وفاة الشيخ أبو المواهب. توفي ودفن في بلده سنة ١٩٠٨م». من كتاب «أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني» لعادل مناع (ص١٧٢)، وانظر ترجمة عمه حسن الدجاني: «حلية البشر» ـ وفي ضمنها إشارة لوالده أيضاً ـ للبيطار (١/ ٥٢١).

وفادتنا، وسررنا بمحاورته العلمية، ومطارحته الأدبية، واطلعنا على جملة من تأليفاته اللطيفة، وشعره الفائق.

ثم في صباح الأحد بعد تناول الشاي دعانا المفتي المنوّه به وأفاضل بني عمه إلى متنزه لهم في قرية بيت دَجَن[1]، فركبنا العربات، وسرنا في طريق تحف به حدائق ناضرة، والخيل تشق عباب الرمل، وبينما نحن سائرون، إذ بإنسان يستوقف سائق العربة، ويطالبه برسم المرور، فقال لنا المفتي: هذا ونظراؤه من جُباة المكوس، ممن يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف: ٨٦]، ثُمَّ قصَّ لي أن في عهد نور الدِّين الشهيد، كان صدر أمرُه الصارم بمنع الخمر، فقال بعض الفضلاء يخاطبه ويعظه:

عطلت كاسات الخمور تعفُّفاً وعليك كاسات المكوس تدور
تدعى بنور الدِّين فاحذر في غدٍ تدعى ظلام الدِّين ما لك نور

قال: فأبطل الرسوم المكوسية من وقتئذٍ.

ثُمَّ وصلنا لذاك المتنزه الأرفع، فألفينا لديه قصراً شاهقاً، تحف به رياض بديعة، وللبصر في جوانبه مجال، ولا يحجب فيحاءه جبال ولا تلال. وهناك مَكنة كازية تسحب الماء وترفعه من بئر فيه، وتدير ناعورة لسقي أراضيه، فقضينا سحابة ذلك النهار ثمة في مباحث علمية، ونوادر تاريخية، ومطارحات أدبية.

---

(١) تقع على بُعد (٩) كم إلى الجنوب الشرقي لمدينة يافا. «معجم أسماء المدن والقرى الفلسطينية» (ص٣٥).

وكان المفتي المنوه به اصطحب لأجلنا **جملة كتب من مكتبته،** ومنها مجموعة أشعاره، فتصفحتها فألفيتها كلها غرراً، **وراقني من مقاطيعه قوله:**

ولـمَّـا تـجـلَّـى نـور فـرق جـبـيـنـه   وراح بـقـدٍّ كـالـردينـيّ يـخـطـر
تذكَّرت بدر التمِّ في غسق الدجى   وغصن النقا والشيء بالشيء يذكر

وقوله مورياً:

أخـجـلـتْ لـلـغـصـن لـمـا   خـطـرتْ تـسـحـب ذيـلا
فـأرتـنـا الـشـمـس تـجـلـى   فـي سـمـاء الـحـسـن لـيـلا

وقوله:

صـافـيـتـهـم وسـبـرتـهـم فـإذا هُـمُ   أخـوان إلَّا أنـهـم خـوَّان
وأجبت لما قيل لي: هل أحسنوا؟   تـرك الإساءة مـنـهـم إحـسـان

وقوله:

بروحي مليك الحُسن من ضنَّ باللقا   على مغرم ضاقت عليه مذاهبه
رفعت له عرض الشكاية في الهوى   فوقع لي بالصدِّ ذو القوس حاجبه

وقوله مضمناً:

لـلَّـه لـيـلـة زارنـي   نـشـوان مـن خـمـر الـدلال
وسَّـدتُـه مـنـي الـيـمـيـن ومـنـه وسَّـدني الـشـمـال
فـجـرى لـنـا مـا قـد جـرى   (مـا كـل مـا يـعـلـم يـقـال)

وقوله:

قل للّذي أضحى يحدث نفسه ... ببقاء صفو زمانه وثباته
ما الدهر إلّا ضيغم في غابة ... فاحذره واخش البطش من وثباته

ولما عُزي بولد له أنشد:

لك نفسي الفدا يا منية النفـ ... ـس فمنها قد كنتَ عندي أعزّا
بك عزيت في الأنام وإني ... كنت أختار أن أكون المعزّى

وفي يوم الاثنين سار بنا أحد أدباء يافا إلى متنزه للألمان، ضم صنوفاً من الطيور الغريبة، والحيوانات العجيبة. **وترددنا إلى جامعها الكبير** مراراً، **وإلى مسجد في جوار دار المفتي مرتفع مطل على البحر** أحياناً.

العودة من طريق بيروت إلى دمشق

ثُمَّ عزمنا على المسير من يافا نهار الثلاثاء ٦ ربيع، فجمعنا الظهر والعصر تقديماً في دار المفتي، وسار معنا إلى الميناء، وركبنا الزورق، ولطف المولى، وله الحمد، حيث لم يكن في البحر تموُّج زائد، والمسافة إلى الوابور كانت نحواً من ثماني دقائق، ثُمَّ ارتقينا إلى الوابور، وبدأ الدُّوار يأخذ بنا، فأشير إلينا بالاضطجاع.

ثُمَّ سار من ميناء يافا الساعة التاسعة من النهار، ولم يزل يشق عباب البحر إلى أن وافينا بعناية الله وفضله ولطفه **ثغر بيروت**، بعد طلوع الشمس بأقل من ساعة، واجتمعنا يومئذٍ بأخلائنا الفضلاء هناك، ودعينا للإقامة بها، وعزم علينا؛ فأبينا؛ خشية من أن يطول بنا

المقام، والنفس نَزَعَت إلى الأوطان، وأخبر بعض رفقائنا محرر «الثمرات»[1] بالقصيدة التي طلبت مني في القدس ـ المارّ ذكرها ـ، وكان وفد لزيارتنا، وأركبنا عربة لقصد بعض أعزائنا، فاستملاها ونشرها في الثمرات في عدد (١٤٣٣)، وتطرق لمرورنا بالثغر.

ثُمَّ عزمنا على المسير من بيروت نهار الخميس، فامتطينا الوابور، ثُمَّ وافينا دمشق مساء الخميس على حين غفلة، وتمت الرحلة أربعين ليلة.

والحمد لله أولًا وآخراً، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وعلى آلِهِ وصحبه وسلم.

* * *

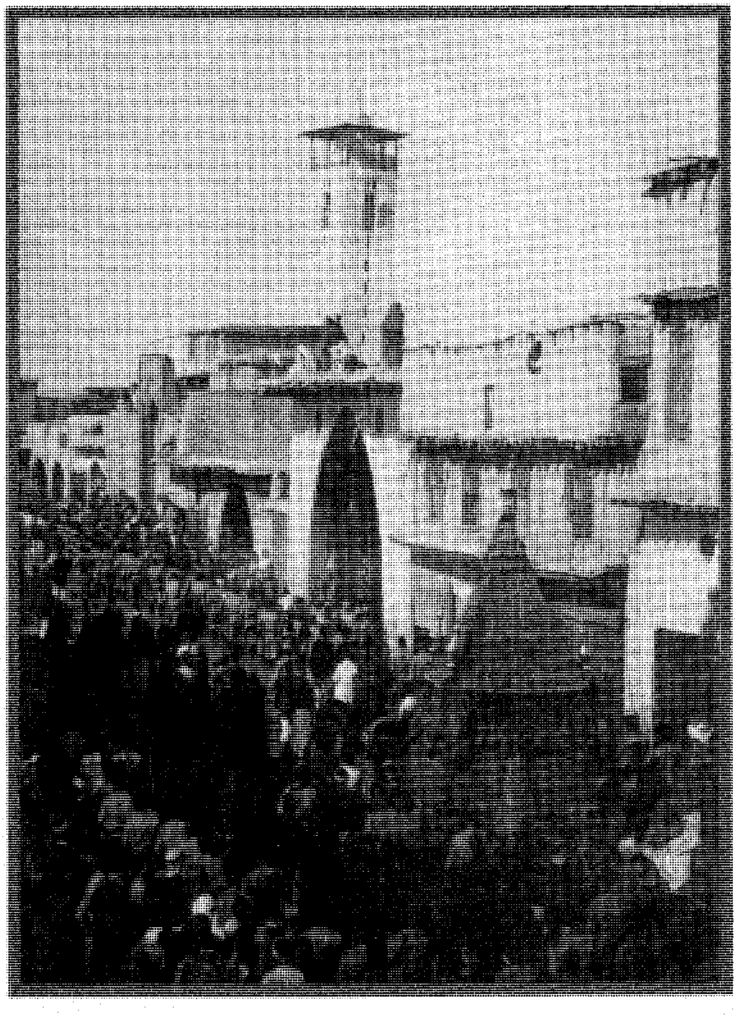
(١) انظر التعريف بهذه المجلة ومن كان محرراً لها من العلماء والأدباء: «تاريخ الصحافة العربية» للعلَّامة المنقطع النظير في فنه فليب دي طرازي (١/ ٢٥، ٢٦).

ملحق ببعض الصور

التي لها صلة بالرحلة إلى القدس



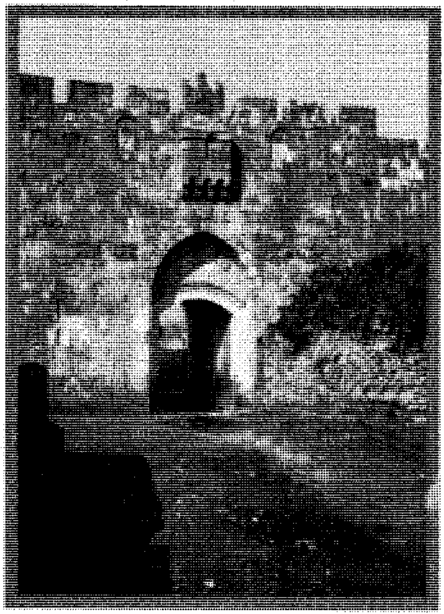
الشيخ محمد جمال الدين القاسمي صاحب الرحلة



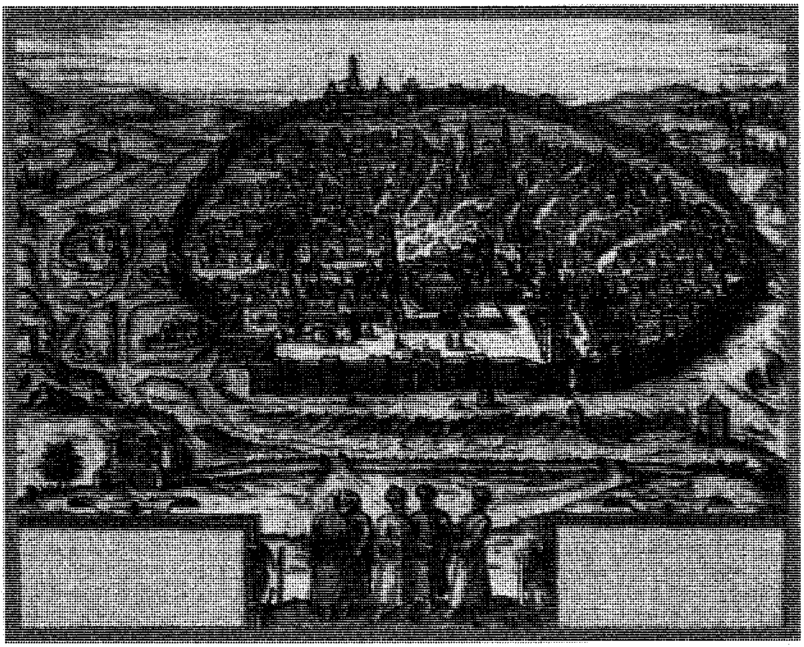
صورة لحي الميدان الذي انطلق منه القاسمي في رحلته إلى القدس ويظهر فيها المحمل الشامي وخروج الناس معه، وذلك في عصر القاسمي



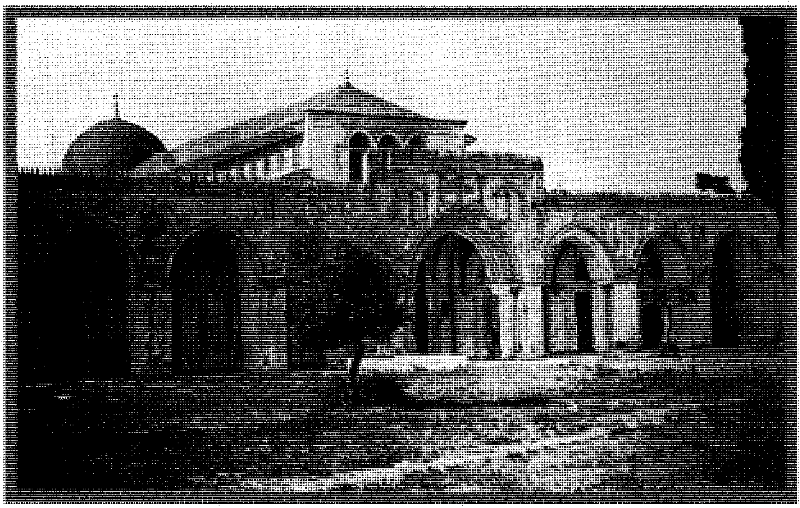
أريحا



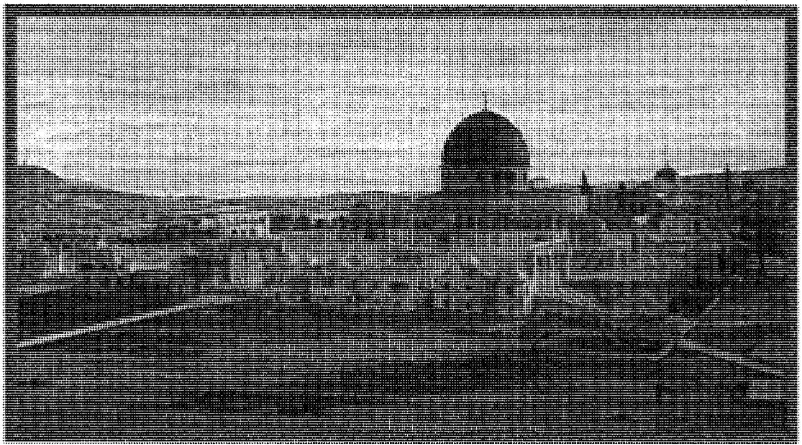
صورة لباب الأسباط
أحد أبواب مدينة القدس
وهي قديمة نحو سنة
(١٣١٨هـ)



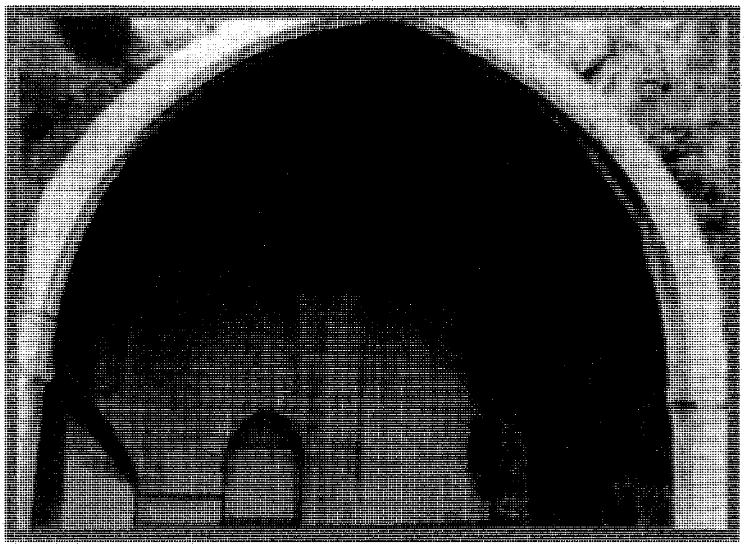
صورة برسم زيتي قديم لمدينة القدس



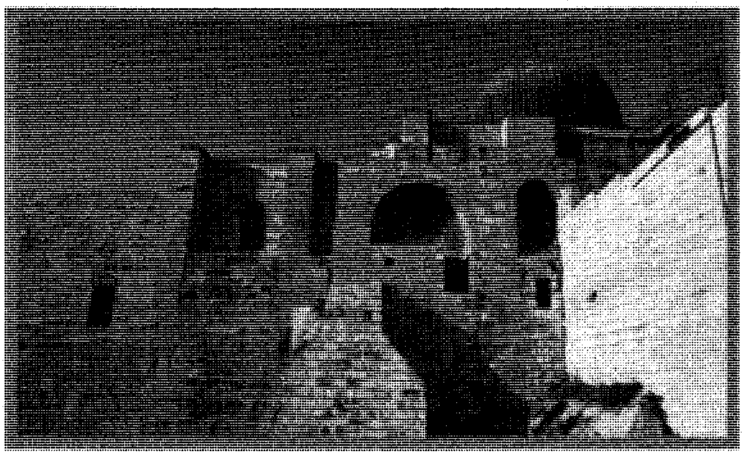
صورة لشمال المسجد الأقصى



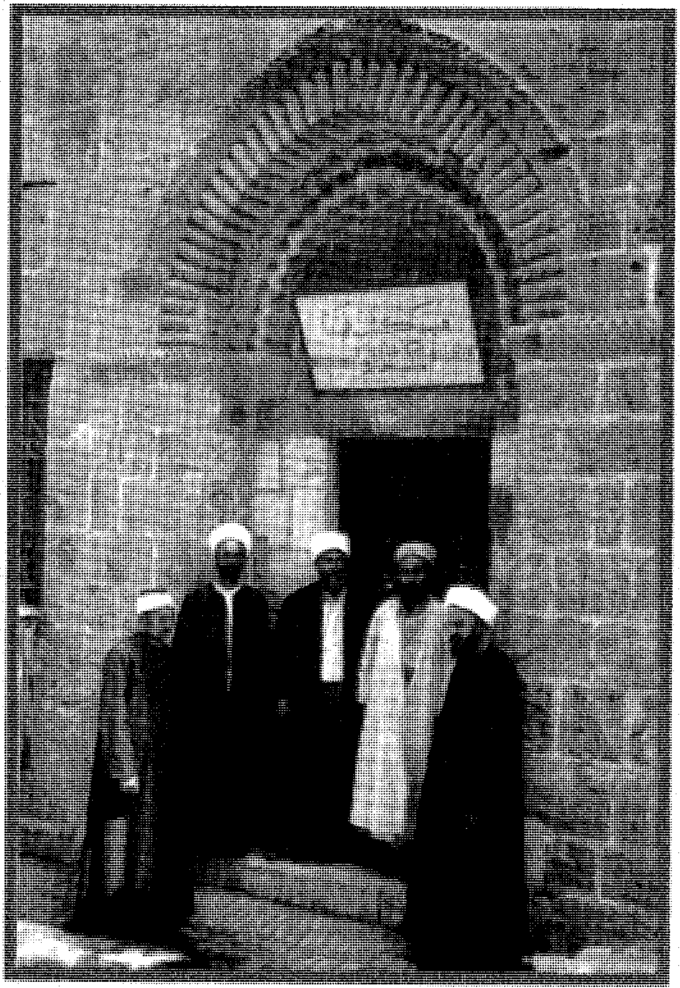
صورة لجهة الشمال الغربي للمسجد الأقصى



الزاوية أو المدرسة الختنية من الداخل



المدرسة الختنية من الجهة الخارجية في المسجد الأقصى



واجهة المدرسة الخالدية ويظهر فيها من جهة اليمين الشيخ راغب الخالدي، العلامة طاهر الجزائري، الشيخ موسى شفيق الخالدي، والشيخ الرحالة خليل الخالدي وهو ممن ساعد في تأسيسها، والشيخ محمد الحبال الذي وضع فهرسها وهذه الصورة سنة (١٣١٨ هـ) حين افتتاح المكتبة



صـورة أخـرى داخـل المكتبة بعـد الصورة السـابقة مـن اليسـار: طاهر الجزائـري وخليـل الخالـدي وكلاهما ممسـك بمخطـوط وبعدهمـا واقفاً محمد بن محمود الحبال ثم مؤسـس المكتبة جالسـاً راغب الخالدي وقد كان صديقـاً حميماً لطاهر الجزائـري، كم هي من صورة معبرة عن حب الكتاب



الشيخ راغب الخالدي مؤسس المكتبة الخالدية وهو خارج من باب السلسلة حوالى سنة (١٣٥٩ هـ) وقد بدأت عليه سن الشيخوخة



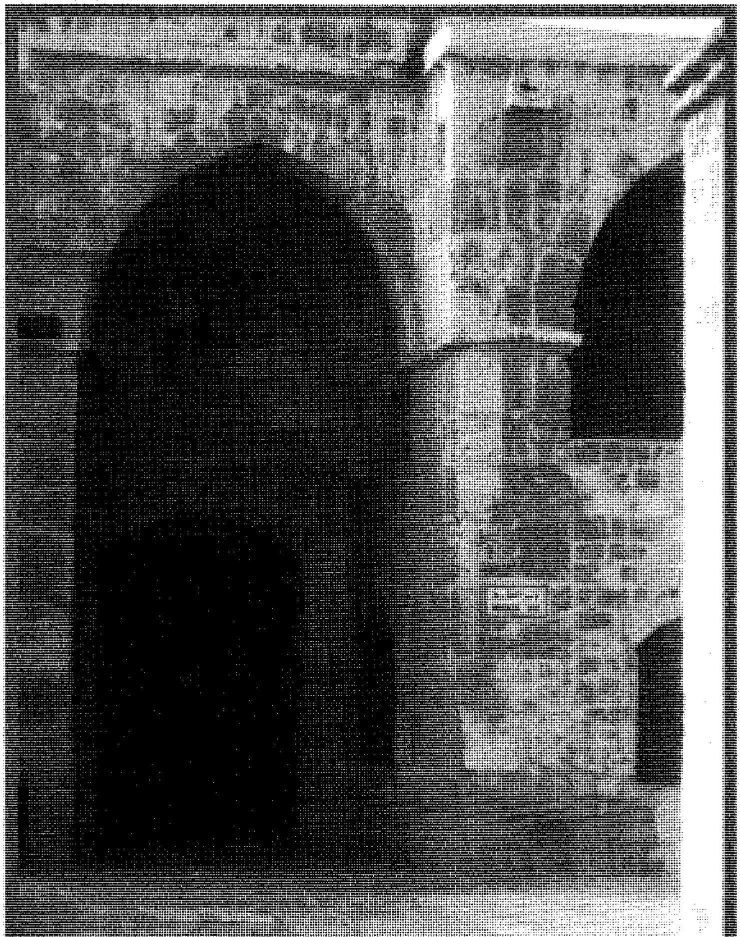
المدرسة الصلاحية في القدس التي بناها صلاح الدين الأيوبي



صورة اللوحة التي عليها نص تاريخ بناء المدرسة الصلاحية (٥٨٨هـ)



باب الخانقاة الصلاحية



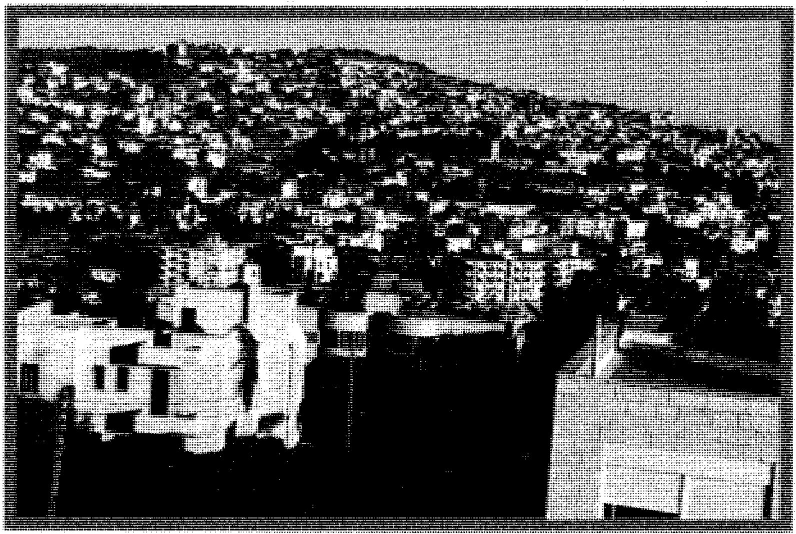
باب المغاربة من المسجد الأقصى



باب العمود، أحد أبواب مدينة القدس نحو سنة (١٣٤٧هـ)



صورة قديمة لمدينة بيت لحم، ويظهر فيه جهة اليمين صورة للجامع، لعله الذي صلى فيه القاسمي



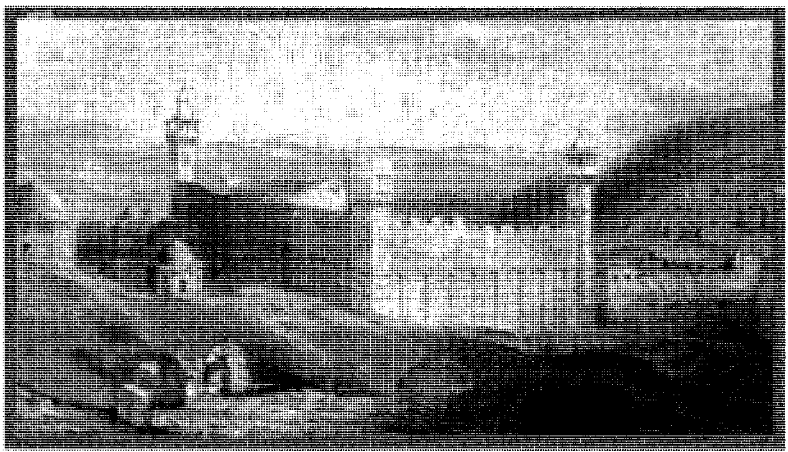
صورة لمدينة بيت جالا



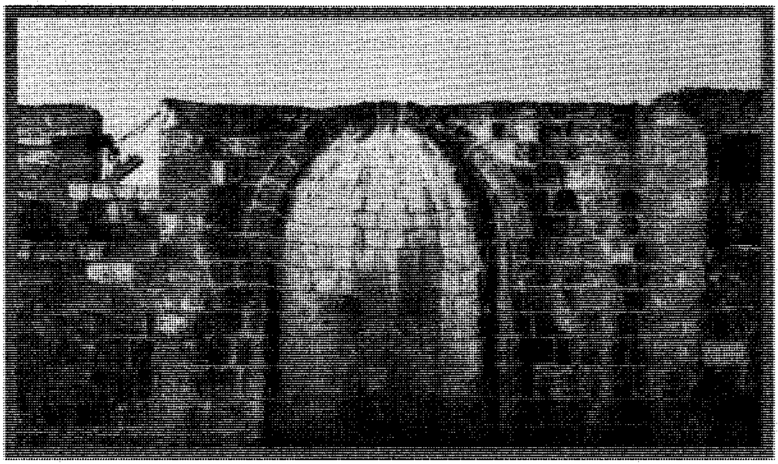
صـورة قديمة
لمدينة الخليل



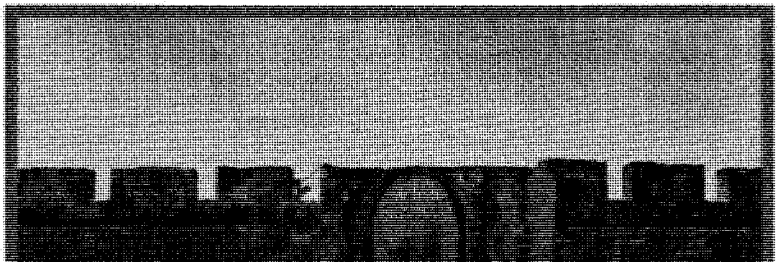
صورة أخرى لمدينة الخليل



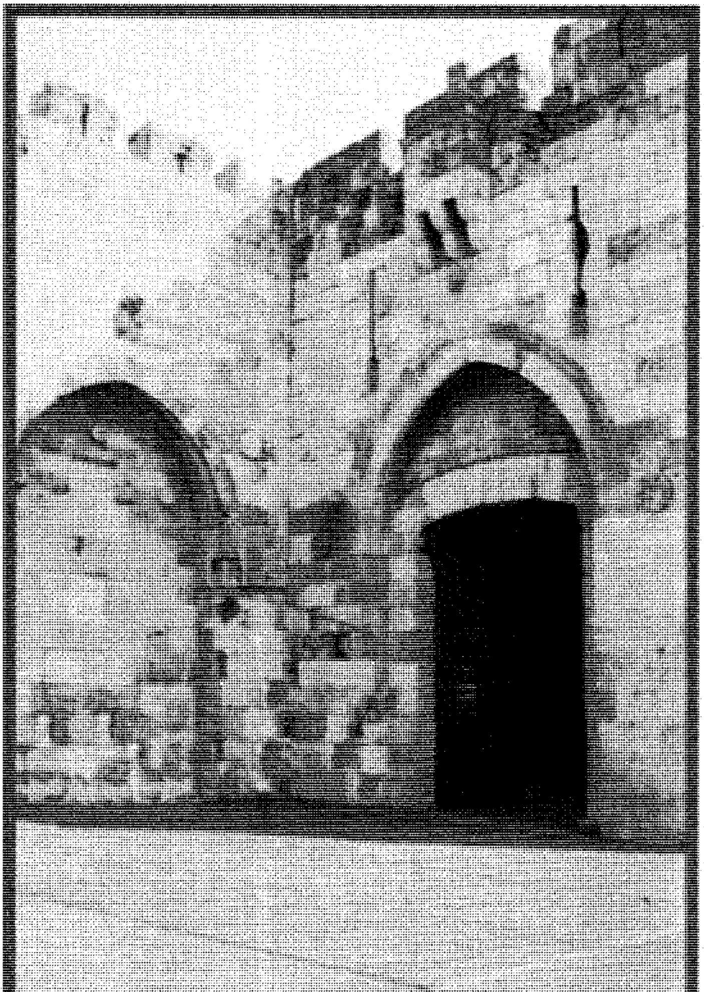
مسجد الخليل



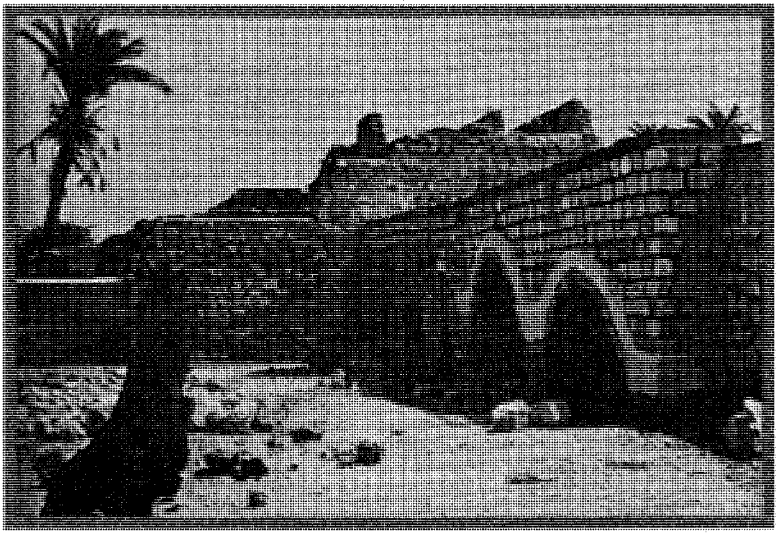
صورة محراب داوود من صحن المسجد الشرقي



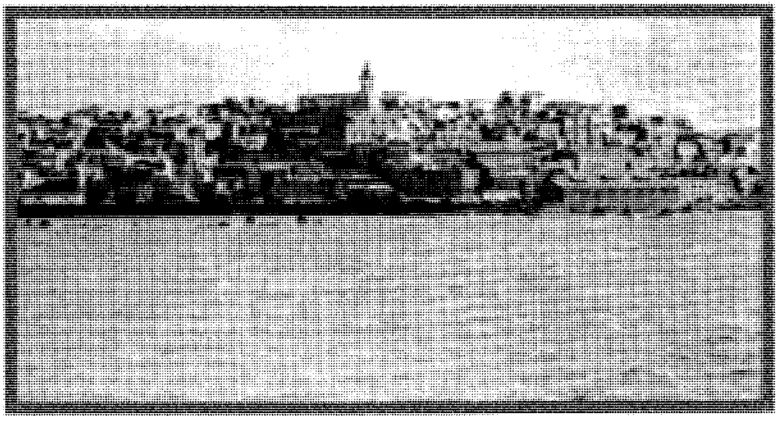
صورة أخرى لمحراب داوود



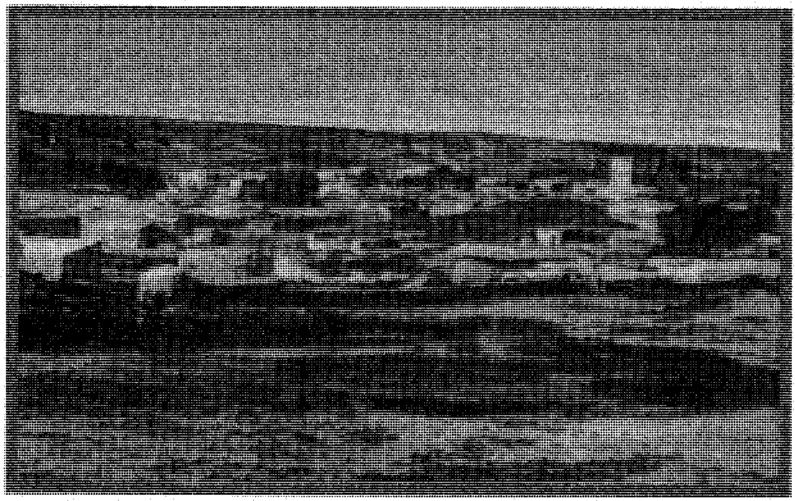
باب الخليل



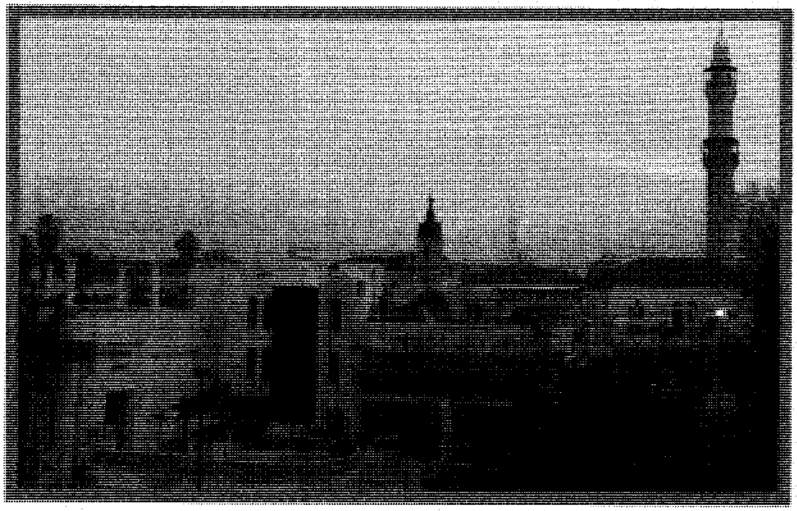
صورة قديمة لقرية اللد



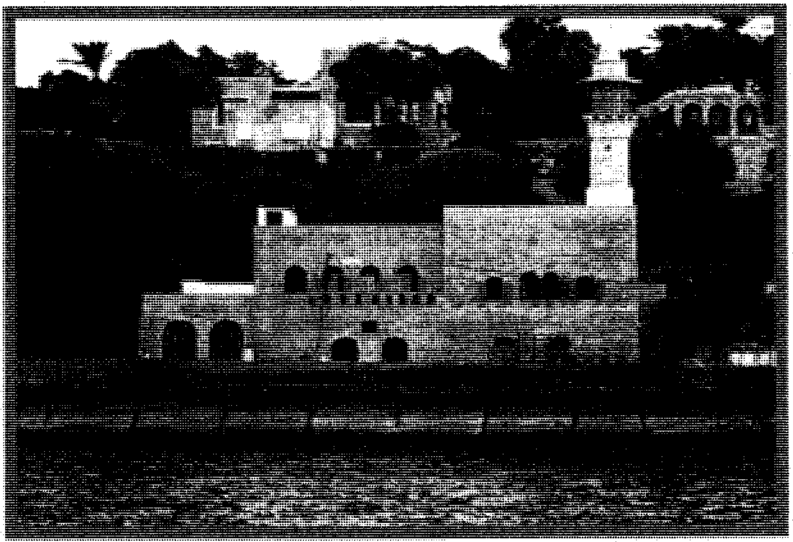
صورة لمدينة يافا



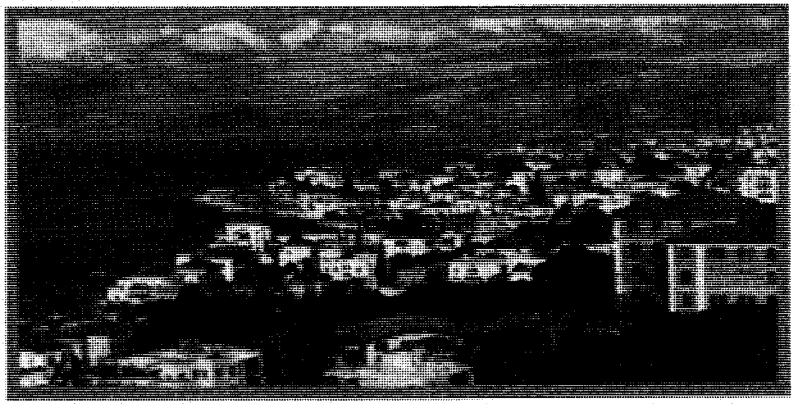
صورة قرية بيت دجن



مسجد يافا الكبير



صورة لمسجد في يافا قريب من البحر لعله الذي صلّى فيه القاسمي



صورة لبيروت قديمة وقد عاد من طريقها القاسمي

المحـتـوى

---

(١) ما بعده حرف (ت) فهو من التعليق على الكتاب.

* * *

من آثار المحقق

١ ـ **فضل علم السَّلف على علم الخلف**: للحافظ زين الدِّين عبد الرحمٰن بن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤١٦هـ، (ثم أعيد طبعه سنة ١٤٢٤هـ، و١٤٣١هـ).

٢ ـ **نور الاقتباس في مشكاة وصيَّة النبي ﷺ لابن عباس**: للحافظ ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤١٤هـ، (ثم أعيد طبعه سنة ١٤٢٤هـ).

٣ ـ **تفسير سورة الإخلاص**: لابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢١هـ.

٤ ـ **تفسير سورة النصر**: للحافظ ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢١هـ.

٥ ـ **زغل العلم**: للحافظ شمس الدِّين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، مكتبة الصحوة الإسلامية، الكويت ١٤٠٤هـ.

٦ ـ **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في منهاج البيضاوي**: للحافظ العراقي، المتوفى سنة ٨٠٦هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٠٩هـ.

٧ ـ **التنقيح في حديث التسبيح** (شرح حديث: كلمتان حبيبتان إلى الرحمٰن): للحافظ ابن ناصر الدِّين الدِّمشقي، المتوفى سنة ٨٤٢هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤١٣هـ، (ثم أُعيد طبعه سنة ١٤٣١هـ).

٨ ـ **تحفة الإخباري بترجمة البخاري**: للحافظ ابن ناصر الدِّين الدمشقي، المتوفى سنة ٨٤٢هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤١٣هـ، (ثم أُعيد طبعه سنة ١٤٣٠هـ).

٩ ـ **كتاب الأربعين**: للحسن بن سفيان، المتوفى سنة ٣٠٣هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤١٤هـ.

١٠ ـ **صفحات في ترجمة الإمام السفاريني**: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤١٣هـ.

١١ ـ **علَّامة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيَّان حياته وآثاره**: (تأليف)، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ١٤١٥هـ.

١٢ ـ **ثلاث تراجم نفيسة للحافظ الذهبي**: المتوفى سنة ٧٤٨هـ، دار ابن الأثير، الكويت ١٤١٥هـ.

١٣ ـ **الخطب المنبرية**: للعلَّامة عبد الله بن خلف بن دحيان، بيت التمويل الكويتي، الكويت ١٤١٦هـ، (ثم أُعيد طبعه سنة ١٤٢٦هـ).

١٤ ـ **نوادر مخطوطات علَّامة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيَّان**: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت ١٤١٦هـ.

١٥ ـ **أخصر المختصرات**: للبلباني مع حاشيته، لابن بدران، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤١٦هـ، (ثم أُعيد طبعه سنة ١٤٣١هـ).

١٦ ـ **مشيخة فخر الدِّين ابن البخاري**: المتوفى سنة ٦٩٠هـ، (عناية وفهرسة للأحاديث)، الكويت ـ الأمانة العامة للأوقاف ١٤١٦هـ.

١٧ ـ **أضواء على الحجج الوقفية الأصلية في الأمانة للأوقاف**: (إعداد)، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت ١٤١٦هـ.

١٨ ـ **روضة الأرواح**: لعبد القادر بن بدران الدمشقي، الكويت ـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٤١٧هـ ١٤٢٨هـ.

١٩ ـ **درَّة الغوَّاص في حكم الذَّكاة بالرصاص**: لابن بدران الدمشقي، مطبوعة مع الرسالة السابقة ١٤١٧هـ ١٤٢٨هـ.

٢٠ ـ **علَّامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي حياته وآثاره**: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤١٧هـ.

٢١ ـ **حياة العلَّامة أحمد تيمور باشا**: بقلم محمد كردعلي وبعض معاصريه، (جمع وعناية)، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت ١٤١٧هـ، (ثم أُعيد طبعه سنة ١٤٣١هـ).

٢٢ ـ **سير الحاثّ إلى علم الطلاق الثلاث**: لابن عبد الهادي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤١٧هـ.

٢٣ ـ **بداية العابد وكفاية الزاهد**: للعلَّامة عبد الرحمٰن البعلي الحنبلي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤١٧هـ.

٢٤ ـ **الألفية في الآداب الشرعية**: لابن عبد القوي، (عناية وضبط)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤١٨هـ.

٢٥ ـ **نتيجة الفكر فيمن درَّس تحت قبة النَّسر**: للعلَّامة عبد الرزاق بن حسن البيطار، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤١٩هـ.

٢٦ ـ **مختصر الإفادات في ربع العبادات والآداب وزيادات**: للإمام محمد بن بدر الدِّين بن بلبان الدمشقي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤١٩هـ.

٢٧ ـ **ثبت مفتي الحنابلة بدمشق الشيخ عبد القادر التغلبي**: تخريج تلميذه مفتي الشافعية محمد بن عبد الرحمٰن الغزِّي، (عناية)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤١٩هـ.

٢٨ ـ **آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل**: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، لبنان ١٤٢٠هـ.

٢٩ ـ **تعليق لطيف على آخر حديث في رياض الصالحين**: للعلَّامة قاسم بن صالح القاسمي (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٠هـ.

٣٠ ـ **مفتاح طريق الأولياء**: لابن شيخ الحَزَّامين أحمد بن إبراهيم، (عناية وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٠هـ.

٣١ ـ **نبذة لطيفة ونصيحة شريفة**: للشيخ حسن بن أحمد سبط الدسوقي، مطبوعة مع الرسالة السابقة.

٣٢ ـ **الوعظ المطلوب من قوت القلوب**: للعلَّامة جمال الدين القاسمي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢١هـ، (ثم أُعيد طبعه سنة ١٤٣١هـ).

٣٣ ـ **العروس المجلية في أسانيد الحديث المسلسل بالأولية**: لصفي الدين البخاري، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢١هـ.

٣٤ ـ **إرشاد العباد في فضل الجهاد**: لحسن بن إبراهيم البيطار، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢١هـ.

٣٥ ـ **سرّ الاستغفار عقب الصلوات**: للعلَّامة جمال الدين القاسمي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢١هـ.

٣٦ ـ **ثمرة التسارع إلى الحب في الله وترك التقاطع**: للعلَّامة القاسمي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢١هـ.

٣٧ ـ **أديب علماء الشام الشيخ عبد الرزاق البيطار**: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢١هـ.

٣٨ ـ **بلوغ القاصد جلّ المقاصد لشرح بداية العابد وكفاية الزاهد**: للعلّامة عبد الرحمٰن البعلي الحنبلي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢١هـ.

٣٩ ـ **إجازة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ**: للشيخ أحمد بن عيسى والشيخ راشد بن عيسى، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٢هـ.

٤٠ ـ **كشف المخدَّرات لشرح أخصر المختصرات**: للعلّامة عبد الرحمن البعلي الحنبلي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٣هـ.

٤١ ـ **تفريج الكروب في تعزيل الدُّروب**: للعلّامة عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٣هـ.

٤٢ ـ **مأخذ العلم**: لأحمد بن فارس اللغوي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٤هـ.

٤٣ ـ **إجازة مفتي الشافعية بدمشق محمد بن عبد الرحمن الغَزِّي**: للشيخ علي بن مصطفى الدبّاغ، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٥هـ.

٤٤ ـ **الأربعون في فضائل المساجد وعماراتها، ممّا رواه شيخ الحنابلة عبد الله بن عقيل بأسانيده عن شيوخه**: (تخريج)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٥هـ.

٤٥ ـ **جزء فيه أربعون حديثاً مخرّجة عن كبار مشيخة الحافظ ابن تيمية**: تخريج المحدِّث أمين الدِّين إبراهيم الواني الدمشقي (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٦هـ.

٤٦ ـ **المعين على معرفة الرِّجال المذكورين في كتاب الأربعين**: لابن علّان المكِّي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٧هـ.

٤٧ ـ **المعجم المختصّ**: لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق بالاشتراك مع الشيخ نظام يعقوبي، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٧هـ.

٤٨ ـ **خصائص مسند الإمام أحمد بن حنبل**: (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٨هـ.

٤٩ ـ **القواعد الفقهية (المنظومة وشرحها)**: للشيخ عبد الرحمن بن سعدي (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٨هـ.

٥٠ ـ **عادات الإمام البخاري في صحيحه**: للعلّامة عبد الحقّ الهاشمي (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٨هـ.

٥١ ـ **المختصر في الفقه**: للإمام عمر بن الحسين الخِرَقي (تحقيق)، دار النوادر، دمشق ١٤٢٩هـ.

٥٢ ـ **القول الحسن المتيمن في ندب المُصافحة باليد اليمنى وأنَّ الذي أظهرها أهل اليمن**: للعلَّامة حسين بن محسن الأنصاري (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٩هـ.

٥٣ ـ **شرح الأربعين النووية**، لابن العطَّار، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٩هـ.

٥٤ ـ **رحلتي إلى المدينة المنوَّرة**، للقاسمي ومعها إجازته للأعلام محمد بن جعفر الكتاني، وعبد الحيّ الكتاني، وأحمد شاكر، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٩هـ.

٥٥ ـ **وليد القرون المشرقة، إمام الشام في عصره جمال الدين القاسمي، سيرته الذاتية، وشيوخه وإجازاتهم له وتلاميذه وإجازاته**، ، جمع وتحقيق، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٣٠هـ.

٥٦ ـ **جزء فيه أحاديث وعوالٍ وحكايات وأشعار للحافظ ضياء الدين المقدسي**، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٣٠هـ.

٥٧ ـ **تعليقات القاري على ثلاثيات البخاري**، وهو شرح العلَّامة علي القاري، (عناية وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٣١هـ. **وفي أوله للمعتني به**:

٥٨ ـ **السير الحثيث في الاتصال بثلاثيات البخاري في الحديث**، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٣١هـ (صدر مع سابقه).

٥٩ ـ **آداب الدَّارس والمدرِّس**، جمال الدين القاسمي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٣١هـ.

٦٠ ـ **رحلتي إلى البيت المقدَّس**، العلَّامة جمال الدِّين القاسمي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٣١هـ.

سلسلة الكتب والأجزاء المقروءة في جوامع ودور الحديث بدمشق

(١) **كتاب الأوائل**: لابن أبي عاصم. دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٥هـ.

(٢) **الأربعون الأبدال العوالي المسموعة بالجامع الأُموي بدمشق**: للحافظ ابن عساكر. دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٥هـ.

(٣) **تنبيه النائم الغَمْرِ على مواسم العُمْرِ**: لابن الجوزي. دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٥هـ.

(٤) **حفظ العمر**: لابن الجوزي أيضاً. دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٥هـ.

(٥) **ثبت الإمام السفاريني**: ومعه إجازاته للعقاد والزبيدي وابن خليل وغيرهم. دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٥هـ.

(٦) **مشيخة ابن إمام الصخرة**: تخريج ابن رافع السلامي. دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٥هـ.

(٧) **ثبت مسند عصره شمس الدِّين البابلي، المسمَّى: منتخب الأسانيد**: لأبي مهدي الثعالبي. دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٥هـ.

(٨) **ومعه المربَّى الكابلي فيمن روى عن الشمس البابلي**: للزبيدي. دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٥هـ.

(٩) **ستة مجالس من أمالي أبي يعلى الفرَّاء**.

(١٠) **جزء فيه سبعة مجالس**: لأبي طاهر المخلص. دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٥هـ.

(١١) **عقد اللآلىء والزبرجد في ترجمة الإمام الجليل أحمد**: لمحدِّث الشام إسماعيل بن محمد العجلوني. دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٦هـ.

(١٢) **محض الخلاص في مناقب سعد بن أبي وقّاص**: ليوسف بن عبد الهادي الحنبلي. دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٧هـ.

(١٣) **الثلاثيات التي في مسند الإمام أحمد بن حنبل**: للحافظ محبّ الدِّين إسماعيل بن عمر المقدسي. دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٧هـ.

(١٤) **المَصْعَدُ الأَحْمَدُ فِي خَتْمِ مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَد**: للحافظ أبي الخير ابن الجزري. دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٧هـ.

(١٥) **الأحاديث المسموعة في جوامع دمشق وضواحيها**: لشمس الدين ابن طولون الدمشقي. دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان ١٤٢٧هـ.

❑ ❑ ❑